معالم التوجيه
عند الإمام أبي عبد اللّه الفاسي
من خلال كتابه
اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة

أ.د / الصافي صلاح الصافي
استاذ مساعد بقسم القراءات وعلومها
ووكيل كلية القرآن الكريم بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين ، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، ، ،

فإن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على هذه الأمة القرآن الكريم ، وإن مدارسته والبحث فيه أحق ما يشتغل به الباحثون ، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون ، ومن ثم فقد عني به العلماء عناية فائقة ، وألفوا في علومه المؤلفات القيمة .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن الكريم على سبعة أحرف ، وكان من نتيجة ذلك أن تعددت أوجه قراءاته وتنوعت ، وكان لهذا التعدد فوائد كثيرة ، أجلها التخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها ، شرفاً لها وتوسعة ورحمة ، وإجابة لقصد نبيهاﷺ ، ومنها الاحتفاظ ببعض مظاهر لهجات القبائل العربية من إظهار وإدغام وهمز وتسهيل وفتح وإمالة ... إلخ من الضياع والاندثار ، والجمع بين حكمين مختلفين ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ ﴾ (١) ،إد قرئ بالتخفيف والتشديد في " يطهرن " فقراءة التخفيف تفيد أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر ، وهو انقطاع الحيض ، وقراءة التشديد تفيد أنها لا يقربها زوجها أيضاً إلا إن بالغت في الطهر ، وذلك بالاغتسال ، ويجمع بين القراءتين بأن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع الحيض ، وتتطهر بالاغتسال ، ومنها أيضاً الدلالة على حكمين شرعيين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ (٢) قرئ بنصب " أرجلكم " وجره ، فالنصب يفيد وجوب الغسل عطفاً على " وجوهكم " المنصوب ، وهو الأصل ، والجر يفيد طلب المسح عطفا على " رؤوسكم " المجرور ، وقد بينت السنة أن المسح يكون للابس الخف ، وأن

(١) سورة البقرة ، آية ٢٢٢ .
(٢) سورة المائدة ، آية ٦ .

الغسل يجب على من لم يلبس الخف ، أضف إلى ذلك ما في تعدد القراءات وتنوعها من الدلالة على إعجاز القرآن الكريم ، وعلى أنه كلام الله ، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ، إلى غير ذلك من الفوائد المترتبة على هذا التعدد ، وبذلك قام تعدد القراءات مقام تعدد الآيات ، وهذا من أقوى الأدلة على بلاغة القرآن الكريم .

هذا، وقد تصدى علماؤنا قديماً وحديثاً في مؤلفاتهم لتوجيه تلك الصور القرائية المختلفة وبيان معناها والاحتجاج بها ولها ، وليس الغرض من الاحتجاج لهذه القراءات المتواترة تقوية القراءة أو إثبات صحتها ، فهي قوية بقرآنيتها ، بل الغرض هو إثبات موافقتها كلام العرب والتأكيد على عدم خروجها عنه ، إضافة إلى تواترها وموافقتها رسم المصحف ، وأما الاحتجاج لهذه القراءات بالنحو وشواهده بغرض تقويتها أو إثبات صحتها فهو قلب للوضع الصحيح الذي يقضي بأن يحتج للنحو وقواعده بهذه القراءات القرآنية ، حيث توافر لها من الدقة والضبط وصحة النقل ما لم يتوافر لأوثق الشواهد النحوية .

وكان من العلماء الذين اهتموا بهذا الجانب العظيم ، وهو جانب توجيه القراءات والاحتجاج لها : العالم الكبير والإمام الشهير أبو عبد الله الفاسي ، وذلك في كتابه "اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة " الذي يعد من أهم وأدق شروح الشاطبية مع ما حواه من سهولة العبارة وحسن الأسلوب ووضوح المعنى ، فاستخرت الله سبحانه وتعالى في بيان تناول الإمام الفاسي لهذا الجانب المهم في كتابه المذكور، موضحاً أبرز معالم التوجيه عنده كاتباع الأثر وكثرة الاستعمال وموافقة القراءة رسم المصحف ولغات العرب وغير ذلك مما سيأتي ذكره بالتفصيل في محله - إن شاء الله تعالى - .

والمنهج الذي سلكته في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي(١) ، حيث إن طبيعة البحث تقتضي استخلاص المادة العلمية لقضية التوجيه في الكتاب المذكور

---

(١) المنهج الوصفي يعتمد على استقراء المادة العلمية لقضية معينة وعرضها عرضاً مرتباً ترتيباً منهجياً ، والمنهج التحليلي يقوم على ثلاثة أسس : وهي التفسير والنقد والاستنباط . ينظر تفصيل المنهجين في أبجديات البحث في العلوم الشرعية د / فريد الأنصاري ص ٦٦ وما بعدها .

ووصفها من خلال استقراء النصوص الخاصة بها ، ثم تحليل هذه النصوص والإفادة منها . وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وتسعة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية الموضوع ومنهج البحث فيه وخطته .

وأما التمهيد ، فقد عرفت فيه بالإمام الفاسي وكتابه اللآلئ الفريدة ، وعرفت فيه أيضاً بتوجيه القراءات ، ثم ذكرت أنواع التوجيه عند الإمام الفاسي من خلال كتابه المذكور .

وأما المباحث : فقد تناولت فيها أبرز معالم توجيه القراءات عند الإمام الفاسي ، وهي كالتالي :

المبحث الأول : توجيه القراءات باتباع الأثر والاعتماد على النقل .

المبحث الثاني : توجيه القراءات بالقرآن الكريم .

المبحث الثالث : توجيه القراءات بالقراءات الأخرى .

المبحث الرابع : توجيه القراءات بالحديث الشريف .

المبحث الخامس : توجيه القراءات بالشعر .

المبحث السادس : توجيه القراءات برسم المصحف .

المبحث السابع : توجيه القراءات بلغات العرب وأقوالهم .

المبحث الثامن : توجيه القراءات بالسياق .

المبحث التاسع : معالم أخرى .

وأما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم نتائج البحث .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

التمهيد

وفيه التعريف بالإمام الفاسي وكتابه اللآلئ الفريدة ، وكذا التعريف بتوجيه القراءات وذكر أنوع التوجيه وتحققها عند الإمام الفاسي من خلال كتابه المذكور .

أولاً : الإمام الفاسي :

هو محمد بن حسن بن محمد بن يوسف ، الإمام العلامة جمال الدين أبو عبد الله المغربي الفاسي(١) ، شيخ القراء بمدينة حلب .

ولد بفاس بعيد الثمانين وخمسمائة، وقدم مصر فأخذ القراءات عن اثنين من أصحاب الشاطبي، وهما: أبو موسى عيسى بن يوسف بن إسماعيل المقدسي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد الشافعي ، عرض عليهما حرز الأماني(٢) ، وعرض عقيلة أتراب القصائد(٣) على جمال الدين على بن أبي بكر الشاطبي ، ثم أخذ القراءة بحلب عن القاضي يوسف بن رافع بن شداد ، وتفقه على مذهب أبي حنيفة .

وتلا بالروايات بالأسكندرية على أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى ، وكان قد أخذ العربية عن عبد العزيز بن عبد العزيز بن زيدان وغيره ، وتقدم في علم الكلام ، وحفظ أكثر صحيح مسلم .

قال عنه الذهبي : " كان إماماً ذكياً متقناً ، واسع العلم ، كثير المحفوظ ، بصيراً بالقراءات وعللها ، مشهورها وشاذها ، خبيراً باللفظ ، انتهت إليه رئاسة الإقراء في زمانه بحلب ، وكان مليح الكتابة ، وافر الفضائل ، موطأ الأكناف ، متين الديانة ، ثقة حجة "(٤) .

---

(١) نسبة إلى فاس ، وهي مدينة تقع بين وجدة والدار البيضاء . معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/٢٣٠ .

(٢) القصيدة الشاطبية ، وهي قصيدة لامية نظمها الإمام الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ، وضمنها القراءات التي ذكرها الإمام أبو عمرو الداني في كتاب التيسير في القراءات السبع .

(٣) وهي قصيدة رائية في رسم المصحف للإمام الشاطبي أيضا ، ضمنها ما ذكره الإمام أبو عمرو الداني في كتاب المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار .

(٤) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي ٣ / ١٣٣٠ .

أخذ عنه خلق كثير ، منهم : الشيخ بهاء الدين محمد بن النحاس النحوي والشيخ يحيى المنبجي ، والشيخ بدر الدين محمد بن أيوب التاذفي ، والناصح أبو بكر بن يوسف الحراني ، والحافظ جمال الدين الظاهري وغيرهم .

ولم تذكر لنا كتب التراجم شيئاً من مؤلفات الإمام الفاسي غير شرح الشاطبية ، وإنما اكتفت بذكر اسمه ونسبه وشيوخه وتلاميذه ومكانته العلمية .

توفي رحمه الله في أحد الربيعين سنة ست وخمسين وستمائة (٦٥٦هـ) بحلب(١) .

ثانياً : كتاب اللآلئ الفريدة :

يعد كتاب اللالئ الفريدة للإمام الفاسي من أهم وأدق وأوفى شروح القصيدة الشاطبية وأكثرها فائدة ، وقد ذكر هذا الشرح عدد من علماء القراءات ، منهم إمام المقرئين وخاتمة الحفاظ المحققين محمد بن الجزري ، حيث جعل هذا الكتاب من الأصول التي اعتمدها في كتاب النشر(٢) ، ونقل منه في عدة مواضع(٣) ، كما ذكره ابن القاصح العذري في مقدمة شرحه على الشاطبية المسمى " سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي " حيث نص على أنه اختصر شرحه هذا من شرح السخاوي والفاسي وأبي شامة وغيرهم(٤) ، وصرح بالنقل عنه في بعض المواضع(٥) ، إضافة إلى غير ذلك من العلماء الذين ذكروا هذا الشرح ونقلوا منه واعتمدوا عليه خاصة من شراح الشاطبية .

وقد أثنى على هذا الشرح جماعة من العلماء وذكروا أنه شرح مفيد وفي غاية الجودة والحسن(٦) .

---

(١) تنظر ترجمته في معرفة القراء ٣ / ١٣٢٩ ـ ١٣٣١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢ / ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٢) ينظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٥٥.
(٣) ينظر: السابق ١ / ٢٨٠ ، ٣٤٣ ، و٢ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٤) ينظر : سراج القارئ ٣ .
(٥) ينظر: السابق ٧٩ وغيرها .
(٦) ينظر: معرفة القراء ٣/١٣٣٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢٣٠ ، وغاية النهاية ٢/١٢٣ .

هذا ، وقد سار الإمام الفاسي في كتابه اللآلئ الفريدة على منهج الإمام الشاطبي في ترتيب الأبواب والأبيات ، وتتبع أبيات الشاطبية بيتاً بيتاً ، فبين معانيها ، وأظهر غامضها ، وأعرب ألفاظها ، ووجه قراءاتها التي تحتوي عليها.

وكان من أهم ملامح منهجه في هذا الشرح أنه صَدر كل باب من أبواب أصول الشاطبية بتعريف لموضوع الباب ، واهتم بحل الرموز ونسبتها إلى أصحابها ، واعتنى بألفاظ الأبيات اشتقاقاً ولغة وإعراباً ، واجتهد في بيان معاني تلك الأبيات وتلخيص القراءات الواردة فيها ، ودافع عن القراءات المطعون عليها ، واهتم بالرسم وعد الآي ، إضافة إلى عنايته بتوجيه القراءات والاحتجاج لها ، واعتماده في ذلك على أصول ثابتة ومعالم واضحة كالقرآن الكريم والحديث الشريف ورسم المصحف واللغة وغير ذلك .

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن كتاب اللآلئ الفريدة قد استمد ـ كغيره من شروح الشاطبية ـ بعضاً من قيمته العلمية من قيمة القصيدة الشاطبية نفسها ، فهي كما قال عنها أبو شامة " نبغت في آخر الدهر أعجوبة لأهل العصر ، فنبذ الناس سواها من مصنفات القراءات ، وأقبلوا عليها لما حوت من ضبط لمشكلات وتقييد المهملات ، مع صغر الحجم وكثرة العلم "(١) ، وقال ابن الجزري : " ومن وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله في ذلك، خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها ، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها ، أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقتها "(٢) .

ولما كانت القصيدة الشاطبية بهذه الأهمية كانت شروحها أيضاً من الأهمية بمكان ، لا سيما شرح الإمام الفاسي رحمه الله .

(١) إبراز المعاني ٨ .
(٢) غاية النهاية ٢ / ٢٢ .

التعريف بتوجيه القراءات :

تعريف التوجيه :

التوجيه لغة : مصدر وجَّه يوجه توجيهاً ، وأصله من الوجه ، ويطلق الوجه في اللغة على عدة معان ، منها : السبيل الذي تقصده بالكلام ، وما يستقبل من الشيء والكشف عن المعنى ووضوحه ، والشرف والسيادة، والنوع والقسم ، والجهة والناحية ، إلى غير ذلك من المعاني والإطلاقات(١) .

واصطلاحاً : ذكر العلماء له عدة تعريفات ، منها :

أن التوجيه " فن جليل ، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها "(٢) .

أوهو: علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية واتفاقها مع قواعد النحو واللغـــة ، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقاً للشرط المعروف ـ موافقة اللغة بوجه ـ كما يهدف علم التوجيه إلى رد الاعتراضات والانتقادت التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات"(٣) .

وبالنظر في هذين التعريفين نجد أن التعريف الأول ليس بمانع ؛ لأن قوله " فن جليل " يصح أن يوصف به غير التوجيه من الفنون كالقراءات والتجويد والرسم وغير ذلك ، وقوله " وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها " يدخل معه غيره من العلوم كعلم التفسير .

وأما التعريف الثاني فهو غير جامع ؛ لأنه قصر التوجيه على بيان وجوه القراءات المتواترة فقط بقوله " هو علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية " ، ومن المعروف أن وصف القرآنية ينتفي عن القراءات الشاذة بمجرد شذوذها ، علماً بأن القراءات الشاذة لها دور بارز ومؤثر في إثراء الجوانب اللغوية والمحافظة عليها ، فهي

---

(١) تنظر مادة (و.ج.هـ) في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والمفردات للراغب الأصفهاني ، ولسان العرب لابن منظور ، وغيرها .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٣٣٩ .

(٣) مقدمات في علم القراءات للدكتور / محمد أحمد مفلح القضاة : ٢٠١ .

وللتوجيه تعريفات أخرى في القراءات القرآنية لعبد الحليم قابة : ٣٠ ، ومعجم مصطلحات علم القراءات القرآنية : ١٥٥ ، وتوجيه مشكل القراءات : ٦٥ ، ٦٦ وغيرها .

منبع ثري ومصدر من أهم المصادر في التعرف على لهجات العرب القديمة ، وأكثرها ـ كما ذكر العلماء ـ مساوٍ في الفصاحة لما أُجمِع عليه ، بل وربما كان الشاذ أقوى في الصنعة من المتواتر .

ولعل من أضبط ما قيل في تعريف توجيه القراءات أنه " معرفة معاني القراءات وأدلتها بتوضيح دلالة اللفظ القرائي اعتماداً على أحد الأدلة الإجمالية للعربية من نقل وإجماع وقياس واستصحاب حال أو غير ذلك من الأدلة الملائمة كرسم المصحف وغيره"(١) .

لأنه يخرج غيره من العلوم ، ويشمل توجيه المتواتر والشاذ من القراءات ، ويجمع بين معاني القراءات وأدلة هذه المعاني .

تعريف القراءات :

القراءات لغة : جمع قراءة ، والقراءة : ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل(٢) ، ويقال : قرأت القرآن ، أي لفظت به مجموعاً ، وقرأت الشيء قرآناً : جمعته وضممت بعضه إلى بعض(٣) .

واصطلاحاً : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله(٤) .

---

(١) ينظر : معالم التوجيه والاحتجاج للقراءات المتواترة ، للدكتور / محمد مصطفى علوة ١ / ٤٩٥

(٢) المفردات للراغب (ق ر أ) .

(٣) ينظر : لسان العرب (ق ر أ) .

(٤) منجد المقرئين لابن الجزري ٦١ ، وينظر: لطائف الإشارات للقسطلاني ١ / ١٧٠ ، وإتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي ٦ .

وللقراءات تعريفات أخرى في البرهان الزركشي١/٣١٨ ، ومناهل العرفان للزرقاني ١/٤١٢ وغيرها .

أنواع التوجيه عند الإمام الفاسي من خلال كتابه " اللآليء الفريدة " :

من المعروف أن اللغة بمعناها العام تبدو دائماً في صورتين متلازمتين يعبر عنهما بما يسمى باللفظ والمعنى ، أو الدال والمدلول ، وتعد الصورة الثانية هنا هي الغاية ، أما الصورة الأولى فإنها تمثل دائماً الوسيلة ، فالمعنى أو المدلول هو المقصود من الكلام ، وللوصول إلى هذا الغرض تساق الألفاظ وتتشكل وتؤدي تبعاً للمقصود من المعاني والأغراض ، ويبدو هذا التشكل في اتباع نظم أو مستويات أربعة يتكون منها النظام اللغوي بوجه عام ، تلك المستويات هي :

المستوى الصوتي ، المستوى الصرفي ، المستوى النحوي ، المستوى الدلالي(١) .

وقد تعددت أنواع التوجيه اللغوي تبعاً لتعدد هذه المستويات ، وبيانها فيما يلي :

التوجيه الصوتي : ويقصد به معرفة معاني القراءات وأدلتها في الصور التي يرجع الاختلاف فيها إلى الجانب الصوتي أو الأدائي في اللفظ المختلف فيه ، وتبيين الربط بين تلك المعاني والبناء الصوتي أو الأدائي الذي أشار إليها(٢) .

ومن أمثلته عند الإمام الفاسي :

قوله في توجيه القراءات الواردة في هاء (هو) ، و(هي) إذا وقعا بعد الواو والفاء واللام وثم(٣) : " والأصل في هاء (هو) الضم ، وفي هاء (هي) الكسر ، بدليل أنهما كذلك عند عدم دخول هذه الأحرف المذكورة عليهما .

والحجة لمن قرأ بالضم والكسر مع الواو والفاء واللام : أنه الأصل ، وأن دخول هذه الأحرف عليها عارض ، إذ لا يلزمها في كل موضع فلا يعتد بها .

---

(١) أفدت بهذا من محاضرات في توجيه القراءات لأستاذنا الدكتور/ عبد الله ربيع ـ رحمه الله ـ في مرحلة الدراسات العليا ـ إبريل ٢٠٠٤ م .

(٢) أفدت هذا التعريف من إحدى محاضرات أستاذنا الدكتور / عبد الله ربيع ، وينظر : إشراقات في توجيه القراءات للدكتور / عبد الكريم إبراهيم صالح ٢٨ – ٢٩ ، ومعالم التوجيه والاحتجاج للقراءات المتواترة ١ / ٤٧٨ .

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر بإسكان هاء ضمير المذكر الغائب المنفصل المرفوع وكذا المؤنث إذا وقع بعد واو أو فاء أو لام ، وقرأ الكسائي وقالون وأبو جعفر بخلاف عنهما بالإسكان أيضاً إذا وقع بعد (ثم)، وقرأ الباقون بالضم في الجميع. النشر ١٥٧/٢ ، والإتحاف ١٧٤ .

والحجة لمن قرأ بالإسكان : أن الأحرف الثلاثة لما لم تضم بنفسها ولم تنفصل حيث كانت على حرف واحد عدت كأنها من نفس ما دخلت عليه ، فصارت مع ضمير المذكر كـ (عضد) ، ومع ضمير المؤنث كـ (كتف) ، فخففت الهاء فيهما بالإسكان ، كما خففت الضاد من عضد، والتاء من (كتف) ونحوهما بذلك ، ولأنها انضمت في (وهو) بين واوين، وانكسرت في (وهي) بين واو وياء ، فقوى الاستثقال(١) فخففت وحمل الباقي عليهما .

والحجة لأبي عمرو في ترك الإسكان مع (ثم) : انفصال (ثم) وقيامها بنفسها ، ويأتي الوقف عليها ، ففرق بينها وبين ما لا ينفصل ولا يقوم بنفسه ولا يتأتى الوقف عليه .

والحجة لمن أسكن معها الهاء : أنها لما كانت حرف عطف أجراها مجرى الواو والفاء ، ولتشابه الجميع واشتراكهن في العطف ، هذا مع إجرائهم المنفصل مجرى المتصل في مواضع ، منها قوله :

فاليوم أشربْ غير مستحقب(٢) ونحوه(٣)

التوجيه الصرفي : ويقصد به معرفة معاني القراءات وأدلتها في الصور التي يرجع الاختلاف فيها إلى بناء اللفظ أو صيغته أو تصريفاته أو غير ذلك من جوانب النظام الصرفي(٤) .

---

(١) صار كأنه ثلاث ضمات في " وهو " وكسرتان وضمة في " وهي " الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٢٣٤ .

(٢) صدر بيت من السريع ، وعجزه : إثماً من الله ولا واغل .

وهو لامرئ القيس في ديوانه ١٢٢ ، والمستحقب : المحتمل للإثم ، والواغل : الداخل على القوم في شرابهم أو في طعامهم من غير أن يدعى ، والشاهد فيه أنه أسكن الباء في أشرب إجراءً للمنفصل مجرى المتصل. ينظر البيت في: الكتاب لسيبويه ٤/٢٠٤، والحجة لأبي على الفاسي١/٩١ ، ٢٥٢ ، ٣٠١ و٣ / ٣٠٣ ، والمحتسب لابن جني ١ / ١٥ ، ١١٠ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١ / ٥٤.

(٣) اللآلئ الفريدة ٢ / ١٦ ، ١٧ ، وينظر توجيه هذه القراءات في الكشف ١/ ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

وللمزيد من الأمثلة ينظر: اللآلئ الفريدة ١ / ٢٧١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٣٨١ ، ٤٧٥ ، ٥٠٠ و٢ / ١٥٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٨٣ ، ٥٢٠ ، و٣ / ٣٠٩ ، ٣١٠ وغيرها .

(٤) أفدت هذا التعريف من أستاذنا الدكتور / عبد الله ربيع في إحدى محاضراته ، وينظر : إشراقات في توجيه القراءات ٣٠ – ٣٢ .

ومن أمثلته عند الإمام الفاسي :

قوله في توجيه القراءات الواردة في لفظ (مسومين) من قوله تعالى :

﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾(١)،

ووجه القراءة بكسر واو (مسومين): أن يكون اسم فاعل من سوم نفسه أو فرسه، أي: مسومين أنفسهم أو خيلهم ، والسومة : العلامة، يعلم الفارس بها نفسه أو فرسه في الحرب(٢) ، قال الكلبي : كانوا بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم(٣) ، وعن عروة بن الزبير : كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء ، فنزلت الملائكة كذلك(٤) ، وقيل : كان الصوف الأبيض في نواصي خيل الملائكة وأذنابها(٥) .

ووجه القراءة بفتح الواو : أن يكون اسم المفعول على معنى : أن غيرهم من الملائكة سومهم، وقيل: معناه مرسلين، حكاه الأخفش(٦) ، وحكى غيره : سوم غلامه : خلى سبيله(٧)"(٨) .

وقوله في توجيه القراءات الواردة في لفظ (يصدر) من قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ (٩) : والوجه في قراءة من قرأ (يُصدِر الرعاء) يضم الياء وكسر وكسر الدال : أنه جعله فعلاً رباعياً متعدياً بالهمزة إلى مفعول، من أَصْدَرْتُ الإبلَ إذا رَدَدْتُها من السَّقْي ، والتقدير : حتى يصدر الرعاء مواشيهم .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٢٥ .
وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو ، وقرأ الباقون بفتحها . النشر ١٨٢/٢ ، والإتحاف : ٢٢٨ .
(٢) ينظر : الكشف ١ / ٣٥٥.
(٣) الكشاف للزمخشري ٤ / ٢٠٧ .
(٤) السابق نفسه .
(٥) نسب هذا القول إلى الضحاك في الكشاف للزمخشري ١ / ٤٠٣ ، وإلى ابن عباس في الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٥٢٤
(٦) ونقله عنه أبو علي الفارسي في الحجة ٢ / ٣٨ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣ / ٥٤. قلت : ولم أجده في معاني القرآن القرآن للأخفش .
(٧) حكاه بعض البصريين . البحر المحيط ٥٤/٣ .
(٨) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٤٥ ، ٢٤٦ بتصرف يسير.
(٩) سورة القصص ، آية : ٢٣ .
وقد قرأ نافع وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بضم الياء وكسر الدال ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الدال ، وكل على أصله في إشمام الصاد صوت الزاي ، فحمزة والكسائي ورويس وخلف العاشر بالإشمام ، وغيرهم بالصاد الخالصة . ينظر : النشر ٢ / ٢٥٦ ، والإتحاف : ٤٣٥ .

والوجه في قراءة من قرأ بفتح الياء وضم الدال : أنه جعله ثلاثياً غير متعد من صدرت الرعاء تصدر إذا رجعت من السقي "(١) .

التوجيه النحوي : ويقصد به معرفة معاني القراءات وأدلتها في الصور التي يرجع الاختلاف فيها إلى الاختلاف في التركيب وفي العلاقات والوظائف الإعرابية المرتبطة بتلك المعاني(٢) .

ومن أمثلته عند الإمام الفاسي :

قوله في توجيه القراءات الواردة في لفظ (العفو) من قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ (٣) : " والحجة لمن رفع العفو : أنه جعل (ماذا) اسمين : الأول منهما مبتدأ ، والثاني خبر(٤) ، أي : أى شيء الذي ينفقونه ؟ فجاء الجواب مبتدأ وخبراً أيضاً، أي : الذي ينفقونه العفو ، والحجة لمن نصب : أنه جعل ماذا اسماً واحداً منصوب المحل بـ (ينفقون) ، فجاء بالجواب منصوباً أيضاً ، أي : ينفقون العفو ، والوجه في الجواب أن يكون على وفق السؤال، وأن يقال لمن قال : ما الذي فعلت ؟ خير، أي : الذي فعلت خير ، ولمن قال : ما فعلت ؟ خيراً ، أي : فعلت خيراً ، ويجوز بعد ذلك النصب في موضع الرفع، والرفع في موضع النصب ، على ما روي عن بعض العرب أنه يقال : كيف أصبحت ؟ فيقول : صالح ، أي : أنا صالح ، ولو جاء بالجواب على وفق السؤال لقال : صالحاً ، أي : أصبحت صالحاً ، فعلى هذا يجوز ارتفاع (العفو) مع جعل (ماذا) اسماً

---

(١)اللآلئ الفريدة٣/٢٦٠ ، وينظر توجيه القراءتين في حجة أبي علي٢/٣٨، والكشف ١/٣٥٥، ٣٥٦
وللمزيد من أمثلة التوجيه الصرفي ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٣١٢ ، ٣٨٠ ، ٤٦٦ ، ٤٧٣ ، و٣ / ٤٣ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٦٩ ، ٤٨٣ وغير ذلك .

(٢) أفدت هذا التعريف من أستاذنا الدكتور / عبد الله ربيع في إحدى محاضراته ، وينظر : إشراقات في توجيه القراءات : ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢١٩ .
وقد قرأ بالرفع أبو عمرو ، وقرأ بالنصب الباقون ، النشر ٢ / ١٧١ ، والإتحاف : ٢٠٣ .

(٤) " ذا " بمعنى الذي ، و" ما " استفهام . الكشف ١ / ٢٩٢ .

واحداً على تقدير : هو العفو ، وانتصابه مع جعل (ماذا) اسمين على تقدير : أنفقوا العفو(١) .

وقوله في توجيه القراءات الواردة في لفظ (قلب) من قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٢) : " والوجه في قراءة من قرأ (على كل قلب) بالتنوين : أنه جعل التكبر صفة للقلب ؛ لأنه مركزه ومنبعه ، ونحوه﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾(٣) والوجه في قراءة من لم ينون : أنه أضاف القلب إلى المتكبر ، وجعل التكبر صفة لصاحب القلب(٤) .

التوجيه الدلالي : ويقصد به معرفة معاني القراءات وأدلتها في الصور الاختلافية التي يرجع الاختلاف فيها إلى العلاقات الدلالية والمعنوية بين المفردات ، كالترادف وما يشبهه(٥) .

ومن أمثلته عند الإمام الفاسي :

قوله في توجيه القراءات الواردة في لفظ (تبلو) من قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ (٦) " والوجه في قراءة من قرأ (تتلو) بالتاء : أنه أنه جعله من التلاوة ، وهي القراءة ، أي : هنالك تقرأ كل نفس في صحيفتها ما

(١) اللآلئ الفريدة ١٣٤/٢ ، وينظر في توجيه القراءتين : الحجة لابن خالويه : ٤٣ ، والكشف ٢٩٢/١ ، ٢٩٣ .
(٢) سورة غافر ، آية : ٣٥ .
وقد قرأ أبو عمرو وابن عامر بخلفه بتنوين الباء الموحدة ، وقرأ الباقون بترك التنوين . النشر ٢٧٣/٢ ، والإتحاف : ٤٨٥ .
(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٨٣ .
(٤) اللآلئ الفريدة ٣ / ٣٤٧ بتصرف يسير ، وينظر في توجيه القراءتين : حجة القراءات لأبي زرعة ٦٣٠ ، ٦٣١ ، والكشف ٢ / ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
وللمزيد من أمثلة التوجيه النحوي ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٩ – ١٣١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ٣٢٥ ، ٣٥٠ ، و٣ / ١٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٣٧٠ ، ٣٩٠ ، ٤٥٧ ، ٤٨٧ وغير ذلك .
(٥) أفدت هذا التعريف من أستاذنا الدكتور / عبد الله ربيع في إحدى محاضراته ، وينظر : إشراقات في توجيه القراءات : ٣٤ .
(٦) سورة يونس ، آية : ٣٠ .
وقد قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بتاءين من فوق ، وقرأ الباقون بالتاء من فوق والباء الموحدة. النشر ٢ / ٢١٢ ، والإتحاف : ٣١١ ، ٣١٢ .

قدمت من خير أو شر ، ودليله ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ ﴾ (١) ، و﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ (٢) ، أو جعله من الإتباع ، أي : هنالك تتبع كل نفس ما أسلفت لأن عملها هو الذي يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار ، والوجه في قراءة من قرأ بالباء أنه جعلها بمعنى : تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن، أنافع أم ضار، أمقبول أم مردود، وقيل معناه: تطلع عليه لتجزى به"(٣).

وقوله في توجيه القراءات الواردة في لفظ (كبيراً) من قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ (٤)" والوجه في قراءة من قرأ (كثيراً) بالثاء : أنه جعله من الكثرة على معنى العنهم مرة بعد مرة ، تكثيراً لأعداد اللعائن ، والوجه في قراءة من قرأ (كبيراً) بالباء : أنه جعله من الكبر للدلالة على أشد اللعن وأعظمه "(٥) .

قلت : وبالنظر في الأمثلة السابقة وغيرها نجد أن كتاب اللآلئ الفريدة للإمام الفاسي قد استوعب التوجيه اللغوي(٦) بمستوياته الأربعة المعروفة: المستوى الصوتي الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي ، والمستوى الدلالي " وأبان عن وجوه ومعاني القراءات في ضوء هذه المستويات ، وقد استعان الإمام الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ في توجيه القراءات مع هذه المستويات اللغوية بأدوات ومعالم أخرى ، كالاحتجاج بالقرآن الكريم والشعر ولغات العرب وأقوالهم وموافقة الرواية ورسم

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٤ .
(٢) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٢ / ٥١٩ ، وينظر توجيه القراءتين في الكشف ١ / ٥١٧ ، والموضح لابن أبي مريم ٢ / ٦٢٢ ، ٦٢٣ .
(٤) سورة الأحزاب ، آية : ٦٨ .
وقد قرأ عاصم وهشام بخلف عنه بالباء الموحدة ، وقرأ الباقون بالثاء المثلثة ، النشر ٢ / ٢٦١ ، والإتحاف : ٤٥٦ .
(٥) اللآلئ الفريدة ٢٩٣/٣ ، وينظر: توجيه القراءتين في حجة أبي زرعة: ٥٨٠، والكشف١٩٩/٢، ٢٠٠ .
وللمزيد من أمثلة التوجيه الدلالي ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ١٨ – ١٩ ، ٤٢ ، ١١٨ – ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٦ – ١٣٧ ، ١٦٩ ، ٢٠١ ، و٣ / ٩ ، ١٦ – ١٧ ، ٤٣ ، ٧٥ ، ٢٧١ ، ٤٦٧ ، وغير ذلك .
(٦) وهو الغالب على أهل هذا الفن ، حتى إنه إذا أطلق التوجيه انصرف النظر إليه .
وهناك أنواع أخرى من التوجيه كالتوجيه الفقهي ، والتوجيه البلاغي ، والتوجيه المذهبي ، وغير ذلك
ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ١٣٦ – ١٣٧ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ – ٣٢٩ ، ٤٩٠ – ٤٩١ ، ٥١٠ وغيرها .

المصحف ، وغير ذلك من المعالم التي سنقف عليها بشيء من التفصيل فيما يلي - بمشيئة الله تعالى - .

المبحث الأول
توجيه القراءات باتباع الأثر والاعتماد على النقل

بالنظر في كتاب اللآلئ الفريدة نجد أن الإمام الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ قد جعل اتباع الأثر والاعتماد في القراءة على النقل والرواية أصلاً لتلك المعالم التي استعان بها وبنى عليها توجيهه القراءات ، حيث أكد في مواطن كثيرة على أن القراءة سنة متبعة ، وأن الأصل فيها صحة النقل وثبات الرواية ، وهذا ما أجمع عليه المسلمون منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا ، حيث أمر رسول الله ﷺ الأمة أن يقرأوا كما علموا ، وأن يلتزموا بما تلقوه عنه ﷺ ، ومن ثم فقد أكد الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ على هذا الأساس ، قال عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهما ـ : القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول(١) ، وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : "اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم "(٢) .

وقال أيضاً : إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم وإياكم والاختلاف والتنطع(٣) ، ولذلك لم يقرأ أحد من السلف إلا بما صح وثبت نقله عن النبي ﷺ ، قال أبو عمرو بن العلاء : لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا(٤) ، وقال حمزة : ما قرأت حرفاً إلا بأثر(٥) ، وقال الكسائي : لو قرأت على قياس العربية لقرأت ﴿ كِبَّرَهُۥ ﴾ (٦) برفع الكاف ، ، لأنه أراد عُظْمه ، ولكني قرأت على الأثر(٧) وغير ذلك مما يؤكد حرص هؤلاء الأئمة على اتباع أثر السابقين في القراءة ، وتحرزهم في نقل القراءات عما لا تتم الثقة بروايته ، فلا تقبل قراءة إلا إذا تواتر نقلها عن الثقات المشهورين بصحة النقل وإتقان

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٩ – ٥١ ، وجامع البيان في القراءات السبع للداني ١ / ١٣٩ – ١٤٢ ، والنشر ١ / ٢١ .
(٢) جامع البيان للداني ١ / ١٣٥ .
(٣) السابق نفسه .
والتنطع : التعمق والتعالي، يقال: تنطع في الكلام : تعمق وتعالى . ينظر : لسان العرب (ن ط ع).
(٤) السبعة : ٨٢ ، ومعرفة القراءة الكبار للذهبي ١ / ٣٣ ، والنشر ١ / ٢١ .
(٥) السبعة : ٧٥ ، ومعرفة القراء ١ / ٢٥٤ .
(٦) سورة النور ، آية ١١ .
(٧) جامع البيان للداني ١ / ١٥٠ ، وجمال القراء للسخاوي ٢ / ٥٧٨ .

الحفظ المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فلا مجال هنا لرأي ولا اجتهاد ، وقد شهد بذلك كثير من العلماء ، منهم الإمام الداني في قوله : وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، والرواية إذا ثبتت لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها(١) .

كل أولئك جعل الإمام الفاسي رَحِمَهُ اللَّهُ يرتكز في توجيه القراءات أولاً على اتباع الأثر وصحة القراءة وثبوت نقلها ، ومن ثم رأيناه يؤكد في مواطن كثيرة على أن الأصل إنما هو الاقتداء بالرواية والاعتماد على صحة النقل .

ومن ذلك قوله عقب توجيه إدغام الدال في حروفها العشرة(٢) ، والاعتماد في ذلك كله أولاً على اتباع الأثر(٣) .

وقوله عقب توجيه الوقف بالهاء على ألفاظ (فِيمَ) (٤) ، و(مِمَّ) (٥) ، و(عَمَّ) (٦) ، و(لِمَ) (٧) ، و(بِمَ) (٨) ، وجميع الكلم المذكورة مرسومة في المصحف بغير هاء ، فمن وقف بالهاء خالف الرسم ، وله من العلة ما ذكر ذلك ، ومن وقف بغيرها اتبع الرسم ، وله من العلة ما ذكر أيضاً، والاعتماد لكل منهما في الحقيقة على اتباع الأثر والاقتداء به"(٩).

---

(١) جامع البيان له ٢ / ٨٦٠ .
وتنظر هذه القضية بالتفصيل في : القراءات توقيفية لا اجتهادية ، لأستاذنا الدكتور / سامي عبد الفتاح هلال .
(٢) قرأ أبو عمرو ويعقوب بخلف عنهما بإدغام الدال المتحركة في عشرة أحرف : التاء والثاء والجيم والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والظاء ، بأي حركة حركت الدال ، إلا أن تكون مفتوحة بعد ساكن فإنها لا تدغم إلا في التاء ، وقرأ الباقون بالإظهار في الجميع . النشر ٢٢٨/١ ، والإتحاف : ٣٤ .
(٣) اللآلئ الفريدة ١ / ١٩٦ .
(٤) سورة النازعات ، آية : ٤٣ .
(٥) سورة الطارق ، آية : ٥ .
(٦) سورة النبأ ، أية : ١ .
(٧) سورة آل عمران ، آية : ٧١ .
(٨) سورة النمل ، آية : ٣٥ .
وقد وقف البزي ويعقوب بخلف عنهما بالهاء في الكلمات الخمس، ووقف الباقون بدونها . النشر ١٠٠/٢ ، والإتحاف : ١٣٩ .
(٩) اللآلئ الفريدة ١ / ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

وقوله عقب توجيه إظهار الكسائي ذال إذ عند الجيم خاصة وإدغامة دال قد وتاء التأنيث ولام هل وبل في جميع حروفها(١) : " والاعتماد على الحقيقة في جميع جميع ما قرأ به من الإظهار والإدغام على النقل والرواية والتعليل تابع لذلك "(٢) .

والناظر في إيراد الإمام الفاسي هذا المعلم من معالم توجيه القراءات عنده يجد أن عباراته فيه تتردد حول " اتباع الأثر"(٣) "وصحة النقل"(٤)، "وثبات الرواية(٥) .. الرواية(٥) .. " ونحو ذلك من العبارات.

ثم هو قد لا يضيف إلى هذا المعلم غير توجيه مختصر للقراءة التي يتحدث عنها ، إذ نراه في بعض الأحيان يوجه القراءة باتباع الأثر، ثم يقول: ولو قيل كذا لكان وجهاً ، ولو علل بكذا لكان وجهاً ، وهذا إنما يصدر عن يقين بأن اتباع الأثر في القراءة وصحة نقلها هو الأساس والمعول عليه الأول .

ومن ذلك قوله في توجيه إدغام القاف في الكاف من كلمة بشرط تحرك ما قبل القاف وكون ما بعد الكاف ميم جمع(٦) ، وسبب تخصيص إدغام القاف في الكاف في هذا القسم اتباع الأثر ، ولو قيل كثرة الدور بالنسبة إلى الغير لكان وجهاً "(٧) .

وقوله في علة تخصيص إدغام الحاء في العين في قوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ ﴾ (٨) : والعلة في تخصيص هذا الموضع اتباع الأثر ولو علل بعد اتباع الأثر بتأكيد الثقل بتكرار الزاي والحاء وضم الأول وكسر الثالث لكان وجهاً "(٩) .

---

(١) ينظر : النشر ٢ / ٣ - ٧ ، والإتحاف ٤٠ – ٤٢ .
(٢) اللآلئ الفريدة ١ / ٣٥٩ .
(٣) ينظر : السابق ١ / ١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٤٢ ، و٢ / ١٠٠ ، و٣ / ٦٢ ، ٣٢٥ ، وغيرها .
(٤) ينظر: السابق ١/١٧٤، ١٨٥، ٢٠٦، ٣٥٩، ١٠٠/٢، ٢٥٨، ٦٢/٣ ، ٦٤ ، ٣٢٥ وغيرها .
(٥) ينظر : السابق ١ / ٣٥٩ ، و٣٦٥ ، ٤٨٣ وغيرها .
(٦) ينظر : السابق ١ / ١٨٢ ، ٣٦٥ ، و٣ / ٧٢ وغيرها .
والإدغام لأبي عمرو يعقوب بخلف عنهما ، والإظهار للباقين . ينظر : النشر ١ / ٢٢٤ ، والإتحاف: ٣٣ .
(٧) اللآلئ الفريدة ١ / ١٨٥ .
(٨) سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .
والإدغام لأبي عمرو ويعقوب بخلف عنهما ، والإظهار للباقين ، ينظر : النشر ١ / ٢٢٨ ، والإتحاف : ٣٤ ، ٢٣٣ .
(٩) اللآلئ الفريدة ١ / ١٨٩ ، وينظر أيضاً : ١ / ٢٠٦ ، ٤٠٥ ، وغيرها .

وربما أعقب توجيه القراءة بالنص على أن الاحتجاج باتباع الأثر أولى ، كما فعل في توجيه قراءة الإمالة في لفظ (أعمى) من قوله تعالى ﴿ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (١) حيث قال : " وأما (أعمى) فهو من ذوات الياء أيضاً بدليل ظهور الياء في عَمِي ، فحمزة والكسائي في إمالة الأول والثاني(٢) على أصلهما، وأبو بكر اتبع الأثر ، وإلا فلا فرق بينهما وبين غيرهما من ذوات الياء ، وقد فتح (أعمى) في الموضعين من سورة طه وهما قوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (٣)، ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ ﴾ (٤)، فدل ذلك على أنه إنما إنما اتبع في كلمتى الإسراء الأثر .

وقد ذكر بعضهم علة للفرق بين السورتين فقال : إنما أمال كلمتي الإسراء دون كلمتي طه ؛ لأن الذي في الإسراء من عمى القلب ، واللذين في طه من عمى البصر ، بدليل قوله ﴿ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ (٥) ، فلما كان المعنى مختلفاً في السورتين خالف في اللفظ بينهما للدلالة على ذلك ، ولم يذكر علة تخصيص كلمتي الإسراء بالإمالة وكلمتي طه بالفتح ، وكان الاحتجاج باتباع الأثر أولى "(٦) .

وغالباً ما كان يربط في سياق حديثه عن توجيه القراءات والاحتجاج لها بين اتباع الأثر والجمع بين اللغات(٧) .

وفي دفاعه عن بعض القراءات المطعون عليها نراه يحتج للقراءة ويسوق أقوال بعض العلماء فيها ، ثم ينتهي إلى دفع الطعن عنها اعتماداً على صحتها وثباتها ،

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٧٢ .
والإمالة لأبي بكر شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر ، والتقليل للأزرق بخلفه ، والفتح للباقين . ينظر : النشر ٢ / ٣٣ ، والإتحاف : ١١٥ ، ٣٦٠ .
(٢) في قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى).
(٣) آية : ١٢٤ .
(٤) آية : ١٢٥ .
(٥) آية : ١٢٥ .
(٦) اللآلئ الفريدة ١ / ٤٠٤ .
(٧) ينظر : السابق ١ / ١٧٤ ، ٢٤٢ ، ٣٦٤ و٢ / ٢٥٨ ، و٣ / ٦٤ ، وغير ذلك .

كقوله في قراءة كسر نون (تبشرون) من قوله تعالى ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ (١) عقب توجيهها وإيراد أقوال بعض العلماء فيها : " ولا وجه للطعن بعد صحة القراءة وثباتها "(٢) .

وقد لا يكتفي الإمام الفاسي في مثل هذا بتوثيق القراءة والتنبيه على صحتها ، وإنما يضيف توثيقاً لراويها ويدفع عنه ما رمي به من وهم وغيره ، ومن ذلك حكايته طعن أبي علي الفارسي على قراءة (هئت) (٣) بالهمز وفتح التاء(٤) قائلاً " قائلاً " قال أبو علي : يشبه أن يكون الهمز وفتح التاء وهما من الراوي ؛ لأن الخطاب من المرأة ليوسف ولم يتهيأ لها(٥) .. " ثم رده على ذلك بقوله : " والقراءة صحيحة وراويها غير واهم "(٦) .

ولما كانت القراءة سنة متبعة ، وكان العمل فيها ـ كما قدمنا ـ على اتباع الأثر دون أي اعتبارات أخرى رأينا الإمام الفاسي يقرر هذه الحقيقة ويؤكد عليها في سياق حديثه عن توجيه بعض القراءات وذلك عن طريق إيراد بعض الأدلة التي تؤيد ذلك ، ومنها : " مخالفة القارئ أو الراوي أصله في الرواية ، فقد نص في مواضع غير قليلة من كتابه على أن القارئ أو الراوي لا يخالف قاعدته أو أصله في الرواية إلا اتباعاً للأثر ، ثم هو قد يضيف علة أخرى إلى اتباع الأثر إذا أحوجه المقام إلى إضافتها ، ومن ذلك ذكره أن النقل في قوله ﴿ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ (٧) وارد عن نافع(١) ،

---

(١) سورة الحجر ، آية ٥٤ .
وقد قرأ نافع بكسر النون مخففة ، وقرأ ابن كثير بكسرها مشددة ، والباقون بفتحها مخففة . النشر ٢٢٦/٢ ، والإتحاف : ٣٤٧ .
قلت : وممن ينسب إليه أنه طعن على قراءة كسر النون أبو عمرو بن العلاء ، قال : كسر النون لحن. ينظر : إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٤٣ .
(٢) اللآلئ الفريدة ٣ / ٨٠ .
(٣) سورة يوسف ، آية : ٢٣ .
(٤) وهي لهشام بخلف عنه ، والوجه الثاني له بالهمز وضم التاء ، وقرأ نافع وابن ذكوان وأبو جعفر بكسر الهاء وياء ساكنة ساكنة وتاء مفتوحة ، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء ، وياء ساكنة وضم التاء ، وقرأ الباقون بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء . النشر ٢ / ٢٢٠ ، والإتحاف : ٣٣٠ .
(٥) اللآلئ الفريدة ٣ / ٤٢ ، وقول أبي علي في الحجة له ٢ / ٤٤٤ .
(٦) اللآلئ الفريدة ٣ / ٤٣ .
(٧) سورة القصص ، آية : ٣٤ .

وتعقيبه على ذلك بقوله : " وليس من أصل ورش النقل في الكلمة الواحدة ، ولا من أصل قالون النقل في كلمة ولا في كلمتين إلا أنهما اتبعا الأثر في ذلك وجَمَعَا بين اللغتين "(٢) .

وذكره أن ابن كثير وأبا عمرو قرآ جميع ما جاء من (ينزل ، وتنزل ، وننزل) بتخفيف الزاي(٣) ، إلا أن ابن كثير قد خالف قاعدته هذه وقرأ بالتثقيل في موضعي الإسراء(٤) الآتيين وتعليله ذلك بقوله : " والحجة لابن كثير في مخالفة قاعدته في سبحان بعد اتباع الأثر الجمع بين اللغتين ، وأن التثقيل في قوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾ (٥) دال على الحالة التي نزل عليها القرآن من التكرير والتنجيم شيئاً بعد شيء(٦) ، والتثقيل في قوله : ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ (٧) موافق لما وقع جواباً له من قوله : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ (٨)﴾ (٩) .

ومن هذه الأدلة أيضاً : مخالفة بعض القراء مصاحف بلدانهم ، فإن كان الغالب الأعم في قراءة كل إمام من الأئمة أن تكون موافقة لرسم مصحف بلده ، إلا أن هذه الموافقة ليست لازمة ، فقد يخالف الإمام مصحف بلده في بعض الحروف التي اختلفت فيها المصاحف ضرورة اعتماده على التلقي والرواية فيما يقرأ .

---

(١) وكذلك عن أبي جعفر ، إلا أن أبا جعفر أبدل التنوين ألفاً في الحالين ، ووافقه نافع في الوقف . النشر ١ / ٣٢١ ، والإتحاف : ٨٥ ، ٤٣٦ .

(٢) اللآلئ الفريدة ١ / ٢٩٤ .

(٣) وهي قراءة يعقوب أيضاً ، إلا ما وقع الإجماع على تشديده ، وهو (وما ننزله إلا بقدر معلوم)الحجر : ٢١ ، وقرأ الباقون بالتشديد ، قلت : وفي بعض المواضع خلاف بين القراء ، راجع تفصيل ذلك في : النشر ٢ / ١٦٤ ، ١٦٥ ، والإتحاف : ١٨٧ .

(٤) ينظر : السابقان نفسهما .

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٨٢ .

(٦) إذ لو خفف لجاز أن ينزل مرة واحدة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن كذلك . الكشف ١ / ٢٥٤ .

(٧) سورة الإسراء ، آية : ٩٣ .

(٨) سورة الأنعام ، آية : ٧ .

(٩) اللآلئ الفريدة ٢ / ٥٧ ، ٥٨ ، وللمزيد من الأمثلة ينظر أيضاً : ١ / ٢٤٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٣٧ ، ٥٤٣ ، ٢ / ٣١ – ٣٤ ، ٢٠٠ وغير ذلك .

ومن ثم رأينا الإمام الفاسي في بعض المواضع ينبه على هذه المسألة وينص على مخالفة بعض القراء مصاحف بلدانهم إشارة إلى اتباعهم الأثر في قراءاتهم ، ومن ذلك حكايته الاختلاف في رسم كلمة (عباد) من قوله تعالى﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ﴾ (١)، عن الإمام الداني حيث قال : " وفي رسم هذه الكلمة اختلاف ذكره الحافظ أبو عمرو في كتابه المسمى بالمقنع(٢) ، قال ــ رحمه الله ــ: تثبت فيها الياء في مصاحف أهل المدينة والشام وسقطت في مصاحف أهل العراق ، قال : وينبغي أن تكون محذوفة في مصاحف أهل مكة لأن قراءتهم كذلك ، قال : ورأيت بعض شيوخنا يقول : إن الياء في مصاحفهم ، ثم قال : وأحسبه أخذ ذلك من قول أبي عمرو(٣) ، وأنه رأى الياء ثابتة في مصاحف أهل الحجاز ، وقلت(٤) : فنافع وابن عامر وحفص وحمزة والكسائي على هذا القول موافق لمصاحفهم ، وابن كثير على ما ذكر أبو عمرو عن بعض شيوخه ، وأبو بكر مخالف لمصاحفهم ، وأبو عمرو مخالف لمصاحف بلده موافق لمصاحف أهل الحجاز على ما ذكر والله أعلم "(٥) .

ولعل من أهم ما يؤكد تمسك الإمام الفاسي بجانب الرواية واعتماده عليه اعتماداً أساسياً في توجيه القراءات تقديمه هذا الجانب على جانب اللغة في مواضع كثيرة من كتابه ونصه على الالتزام بما روي ولو جاز غيره لغة أو كانت حجته في العربية غير قوية ، ومن ذلك : قوله في قراءة نافع وابن عامر بالتأنيث في ﴿ نَّغۡفِرۡ

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ٦٨ .
وقد أثبت الياء فيها وصلاً ووقفاً نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ورويس بخلفه ، وفتحها وصلاً شعبة ورويس بخلفه ، وسكناها وقفاً ، وحذفها الباقون في الحالين .
النشر٢ / ٢٧٧ ، والإتحاف : ٤٩٧ .
(٢) ص : ١١٠ ، ١١١ .
(٣) المراد : أبو عمرو بن العلاء ، وقد حكى ابن الجزري قوله في النشر ٢ / ٢٧٧ .
(٤) القائل : الإمام الفاسي .
(٥) اللآلئ الفريدة ١ / ٥٦٢ .

لَكُمۡ﴾ بسورة الأعراف(١) : " ولو قرأ نافع وابن عامر في الأعراف بالتذكير لجاز لغة ، غير أن معتمد القراءة الرواية ، ولم يرويا ذلك بالتذكير(٢) .

وقوله في اختلاف القراء بين التثقيل والتخفيف في لفظ (ميت) (٣) " وجميع ما جاء من ذلك في القرآن يجوز تثقيله وتخفيفه لغة ، غير أن الرواية لا تُتَعدى "(٤) .

وقوله في سياق حديثه عن القراءات في لفظ (مدخلاً) في سورتي النساء(٥) والحج(٦)، "واتفق السبعة على الضم في قوله:﴿ مُدۡخَلَ صِدۡقٍ﴾ (٧) اتباعاً للرواية للرواية مع جواز فتحه لغة"(٨).

وذكره أن ابن مجاهد روى عن قنبل ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ (٩) بقصر الهمزة ، وأنه لم يأخذ بما رواه من ذلك(١٠) ، ثم تعقيبه على هذا بقوله : " قلت : والوجه أن يأخذ بما رواه ؛ لأن الرواية إذا ثبتت وجب الأخذ بها ، وإن كانت حُجَّتُها في العربية ضعيفة"(١١) .

---

(١) آية : ١٦١ ، وقد قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بالتأنيث مبنياً للمفعول ، وقرأ الباقون بالنون مبنياً للفاعل . النشر ٢ / ١٦١ ، والإتحاف ١٧٩ ، ٢٩١ .

(٢) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٠ .

(٣) من مواضعه : ﴿ سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾سورة الأعراف ، آية : ٥٧ .

(٤) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٠٩ .

(٥) آية : ٣١ .

(٦) آية : ٥٩ .

وقد قرأهما نافع وأبو جعفر بفتح الميم ، وقرأهما الباقون بضمها . النشر ٢ / ١٨٧ ، والإتحاف : ٢٤٠ و٤٠٠ .

(٧) سورة الإسراء ، آية : ٨٠ .

(٨) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٩٦ .

(٩) سورة العلق ، آية : ٧ .

وقد قرأه قنبل بخلفه بقصر الهمزة بلا ألف ، وقرأ الباقون بالمد . النشر ٢/٣٠٠، والإتحاف: ٥٩١

(١٠) قال ابن مجاهد : قرأ ابن كثير فيما قرأت على قنبل (أن رأه) بغير ألف بعد الهمزة، وزن : رَعَهُ، وهو غلط ؛ لأن مثل رعاه ، ممالاً وغير ممال . السبعة : ٦٩٢ .

(١١) اللآلئ الفريدة ٣ / ٤٨١ .

ومما سبق يتضح لنا أن ثبوت الرواية واتباع الأثر فيها يعد الأساس الأهم والمعوّل عليه الأول عند الإمام الفاسي في توجيه القراءات القرآنية والاحتجاج لها .

قلت : ولا وجه لتضعيف هذه القراءة بعد ثبوتها رواية ، ثم هي محمولة على ما جاء من حذف الألف في نحو قوله :﴿ حَـٰشَ لِلَّهِ ﴾ يوسف : ٣١ ، ٥١ ، وغيره من الأفعال التي حذف منها الألف التي هي لام الكلمة من غير موجب يوجبه القياس ، وقد جاء في مضارعه : فَلَوْتَرَ ما أهلُ مكةَ ، والأصل تَرَى .
ينظر الموضح ٣ / ١٣٨٢ ، وينظر توجيه القراءة أيضاً في الكشف ٢ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ وغيره .

المبحث الثاني
توجيه القراءات بالقرآن الكريم

من المعروف أن للقراءات علاقة وثيقة بالقرآن ، هي علاقة الجزء بالكل ، فالقراءات أبعاض للقرآن وهو كل لها ، وما الفرق بينهما إلا الفرق بين الكل وأجزائه(١) ، لذا وجدنا الإمام الفاسي في كثير من المواطن يوجه القراءات ويحتج لها بمواضع أخرى من القرآن الكريم متفق على قراءتها .

ومن ذلك قوله في توجيه القراءات الواردة في لفظ (آتيتكم) من قوله تعالى: ﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ﴾ (٢) ، " ووجه القراءة بالتاء المضمومة في قوله : (آتيتكم) : أن الله سبحانه أخبر عن نفسه بتاء الواحدة الموضوعة للمتكلم وحده ؛ لأنه عز وجل منفرد بإنباء ما ذكر ، ووجه القراءة بالنون والألف أنه ـ سبحانه ـ أخبر عن نفسه بضمير التعظيم والتفخيم ، ومن الأول قوله : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ (٣)، إلى غير ذلك من نظائره ، ومن الثاني قوله : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ ﴾ (٦) ، وهو كثير في القرآن "(٧).

وقوله في توجيه القراءات في حرفي (نزل، وأنزل) من قوله تعالى :

---

(١) ينظر : القراءات أحكامها ومصدرها للدكتور / شعبان محمد إسماعيل ٢١ ، ٢٢ .
(٢) سورة آل عمران ، آية : ٨١ .
وقد قرأ نافع وأبو جعفر بالنون والألف بعدها ، والباقون بتاء مضمومة بلا ألف ، النشر ٢ / ١٨١ ، والإتحاف : ٢٢٦ .
(٣) سورة المائدة ، آية : ٣ .
(٤) سورة البقرة ، آية : ٨٧ .
(٥) سورة الجاثية ، آية : ١٦.
(٦) سورة النمل ، آية : ١٥ .
(٧) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٣٩ ، وينظر توجيه القراءتين في حجة أبي علي ٣٤/٢ ، والكشف ٣٥٢/١.

﴿ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ (١) ، والوجه في قراءة من فتح الحرفين من الأفعال المذكورة : أنه بنى الفعل للفاعل وأعاد الضمير على اسم الله ـ عز وجل ـ مسنداً إليه الفعل كما أسند في قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ (٢) ، ونحوه ، والوجه في قراءة من قرأ بالضم والكسر : أنه بنى الفعل للمفعول ، وحذف الفاعل للعلم به ، كما جاء في قوله﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٣)، ونحوه... "(٤) .

وهو ـ كما رأيت ـ قد يقتصر في توجيه القراءة والاحتجاج لها على موضع واحد من المواضع القرآنية المتفق عليها ، وقد يزيد على ذلك أو يشير إلى مواضع أخرى كما مر آنفاً .

وقد ينص في ذلك على تقوية أحد الأوجه بإجماع القراء على موضع آخر واتفاقهم على القراءة فيه ، كما فعل في توجيه إحدى القراءات الواردة في قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (٥) ، فإنه ذكر في توجيه قراءة (ما تَنَزَّلُ الملائكةُ) بفتح التاء والنون وتشديد الزاي ورفع الملائكة أنه أسند الفعل إلى الملائكة على أنها فاعلة ورفعها به ، وأصله : تَتَنَزَّلُ بتاءين ، فحذفت إحداهما لاجتماع مثلين

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٣٦ .
وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم النون والهمز وكسر الزاي فيهما ، والباقون بفتح النون والهمز والزاي فيهما. غاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني ٤٦٧/٢ ، ٤٦٨ ، النشر ١٩٠/٢ ، والإتحاف : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٢) سورة الحجر ، آية : ٩ .
(٣) سورة النحل ، آية : ٤٤ .
(٤) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣١٨ ، وينظر توجيه القراءتين في حجة أبي زرعة ٢١٦ ، ٢١٧ ، والكشف ١ / ٤٠٠ .
(٥) سورة الحجر آية : ٨ .
وقد قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بنونين الأولى مضمومة ، والأخرى مفتوحة وكسر الزاي مشددة ونصب الملائكة ، وقرأ شعبة بضم التاء وفتح النون والزاي مشددة ورفع الملائكة ، والباقون بفتح التاء والنون والزاء مشددة ورفع الملائكة ، والبزي على مذهبه في تشديد التاء وصلا بخلفه مع المد المشبع . النشر ٢/ ٢٢٦ ، والإتحاف : ٣٤٥ .

متحركين بحركة واحدة، ثم قال: ويقوي ذلك الإجماع على قوله:﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾(١)(٢).

وقد يجمع الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ بين القرآن وغيره من المعالم التي اعتمدها في توجيه القراءات والاحتجاج لها ، وفي هذه الحالة نراه غالباً ما يقدم القرآن الكريم في الذكر على المعالم الأخرى ، ومن ذلك ما فعله من تقديم القرآن الكريم على الشعر في سياق حديثه عن توجيه قراءتي الوصل والقطع في ﴿ فَأَسْرِ ﴾ (٣) ، و﴿ أَنْ أَسْرِ ﴾ (٤) حيث قال : " والوجه في قراءتي الوصل والقطع أنهما لغتان بمعنى واحد(٥) ، يقال : سَرَى زيدٌ وأَسْرَى، وسَرَى زيدٌ بعمروٍ وأَسْرَى به، قال الله الله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ (٦) ، وقال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (٧) ، وأنشد للنابغة(٨) في سرى :

سَرَتْ عليه من الجَوْزاءِ ساريةٌ(٩)

---

(١) سورة القدر ، آية : ٤ .
(٢) اللآلئ الفريدة ٣ / ٧٩ ، وينظر توجيه قراءات هذا الحرف في حجة ابن خالويه : ١١٨ ، والكشف ٢ / ٢٩ ، ٣٠ .
(٣) سورة هود آية ٨١، والحجر: ٦٥، والدخان :٢٣.
(٤) سورة طه ،آية ٧٧، والشعراء: ٥٢.
وقد قرأ المدنيان وابن كثير بوصل الألف فى الخمسة ويكسرون النون من "أن" للساكنين وصلا ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بقطع الهمزة مفتوحة. النشر ٢/٢١٨ ، والإتحاف : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .
(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٦٦ ، ولسان العرب (س ر ي) .
وقيل : معنى أسرى : سار من أول الليل ، وسرى : سار من آخره. حجة ابن خالويه ١٠٨ .
(٦) سورة الفجر ، آية ٨ .
(٧) سورة الإسراء ، آية ١ .
(٨) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني المضري ، شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى من أهل الحجاز ، كانت تضرب له قبة بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، له ديوان شعر ، توفي سنة ثماني عشرة (١٨) ق.هـ. ينظر : طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي : ٥٦ ، والأعلام للزركلي ٣ / ٥٤ ، ٥٥ .
(٩) صدر بيت من البسيط ، وعجزه : تزجي الشمالُ عليه جامد البرد .
وهو للنابغة في ديوانه : ١٨ ، ومعنى سَرَتْ : جاءت ليلاً ، والجوزاء : نجم يطلع بالليل ، والسارية : السحابة التي تسري ليلاً ، وزجى الشيء وأزجاه : ساقه ودفعه .
ينظر البيت في حجة ابن خالويه : ٣٠٧ ، وحجة أبي علي ٢ / ٤١٣ ، ولسان العرب (ح ي ا)

وللبيد(١) في أسرى

إذا هُو أَسْرَى ليلةً خَال أنه قَضَى عملاً والمرءُ ما عاشَ عاملُ(٢) "(٣).

وفي اللآلئ الفريدة مواضع أخرى لمن أراد الرجوع إليها(٤) .

ومن ثم يتبين لنا أن توجيه القراءات والاحتجاج لها بما اتفق على قراءته من حروف القرآن من أهم المعالم التي اعتمد عليها الإمام الفاسي في قضية التوجيه .

(١) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ، كان من فحول شعراء الجاهلية وعمر زماناً طويلاً ، وفد على رسول الله فأسلم وحسن إسلامه ، توفي في خلافة عثمان وقيل : في أول خلافة معاوية . ينظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١ / ٥٩٣ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للبيد في ديوانه ١ / ٧٣ ، وهو من شواهد الماوردي في النكت والعيون ٢ / ٤٩١ ، والقرطبي والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٨٣ .

(٣) اللآلئ الفريدة ٣ / ٢١ ، ٢٢ .

(٤) ينظر على سبيل المثال: ٢ / ٢٨٧ ، ٣٢٨ ، ٣٩٣ ، ٥١٤ ، وغير ذلك ، وللمزيد من أمثلة توجيه القراءات بالقرآن . ينظر : ٢ / ٦٦ ، ١٤٧ ، ٢٥١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٦٧و ٧٩/٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥ ، ٣٠٩ وغيرها.

المبحث الثالث
توجيه القراءات بالقراءات

لم يغفل الإمام الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ أهمية الاحتجاج بقراءة في توجيه قراءة أخرى ، وإنما جعلها متواترة وشاذة معلماً آخر من المعالم الأساسية التي استعان بها واعتمد عليها في توجيه القراءات القرآنية .

القراءات المتواترة :

اعتمد الإمام الفاسي في توجيه بعض القراءات القرآنية على غيرها من القراءات الأخرى المتواترة واتخذ منها دليلاً على صحة ما يذكره أو يذهب إليه من الوجوه والمعاني ، ومن ذلك ما ذكره في توجيه قراءة قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (١) بضم القاف وكسر التاء(٢) ، حيث قال : " والوجه في قراءة من قرأ : (والذين قُتِلوا) : أنه بنى الفعل لما لم يُسَمّ فاعله ، وفي المعنى بعد ذلك وجهان :

أحدهما : أن يكون خاصاً بمن قُتِلَ في سبيل الله ، أخبر سبحانه أنه لا يُذهِبُ عملهم ولا يبطل سعيهم ، وأنه سيهديهم إلى طريق الجنة ويصلح حالهم بذلك ويدخلهم الجنة ، والثاني: أن يراد به الذين أصاب القتل بعضهم، كقوله:﴿ قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ (٣) ، أخبر سبحانه أنه لا يُذْهِبُ عملهم ولا يبطل سعيهم ، وأنه سيهديهم ويصلح حالهم في الدنيا ويدخلهم الجنة في الآخرة "(٤) .

---

(١) سورة محمد آية : ٤ .

(٢) وهي لأبي عمرو وحفص ويعقوب ، وقرأ الباقون بفتح القاف والتاء وألف بينهما. الغاية لابن مهران ٣٩٤ ، والنشر ٢ / ٢٧٩ ، والإتحاف : ٥٠٦ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٤٦ .

وقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بضم القاف وكسر التاء ، وقرأ الباقون بفتح القاف والتاء وألف بينهما . النشر ٢ / ١٨٢ ، والإتحاف : ٢٢٩ .

(٤) اللآليء الفريدة ٣ / ٣٧٨ ، وينظر توجيه هذه القراءات في حجة ابن خالويه ٥٥ ، ٢١٤ ، والكشف ١ / ٣٥٩ ، و٢ / ٢٧٦ .

وكذلك توجيهه قراءة حذف النون الثانية وتشديد الجيم في لفظ (ننجي) من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) بقراءة ضم الياء وفتح الزاي في لفظ (يجزي) مع نصب (قوماً) من قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمَۢا ﴾ (٢) واحتجاجه بورودها ـ أعني القراءة الأخيرة ـ عن أبي جعفر ، وهو أحد الأئمة العشرة(٣) .

فالقراءات المتواترة عند الإمام الفاسي حجة لنظيرها من القراءات ودليل على الكثير من معانيها ، وهذا يرجع عنده إلى العلاقة الوثيقة التي تربط بين هذه القراءات وإلى تلاقيها عند معاني التنزيل .

٢ – القراءات الشاذة :

لقد اعتمد الإمام الفاسي أيضاً على بعض القراءات الشاذة في توجيه القراءات القرآنية والاحتجاج لها ، وذلك لعلمه بقوة القراءات الشاذة وإدراكه ما بينها وبين القراءات المتواترة من ارتباط وعلاقة ، والناظر فيما أورده الفاسي من قراءات شاذة في سياق توجيهه بعض القراءات المتواترة يجد أنه جمع فيه بين القراءات المنسوبة للنبي ﷺ ، وقراءات الصحابة ، وقراءات التابعين ، ثم هو غالباً ما يقوم بنسبة تلك القراءات لمن قرأ بها ، وقد يستشهد بها من دون نسبة .

وقد كان احتجاجه بما شذ من القراءات يدور حول تأييد القراءات المتواترة وتقوية معانيها ، وتعليل اختيارات بعض العلماء فيها ، وتأييد بعض الوجوه اللغوية والاستدلال عليها ، والدفاع عن بعض القراءات المطعون فيها والانتصار لها ، ونحو

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٨٨ .
وقد قرأ ابن عامر وشعبة بحذف النون الثانية وتشديد الجيم ، وقرأ الباقون بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم . ينظر : النشر ٢ / ٢٤٣ ، والإتحاف ٣٩٤.
(٢) سورة الجاثية ، آية ١٤.
وقد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف العاشر بالنون ، وقرأ الباقون بالياء ، وقرأ أبو جعفر بضم الياء وفتح الزاي مجهلاً. روضة المالكي ٢ / ٩١٤ ، والنشر ٢ / ٢٧٨ ، والإتحاف ٥٠٢ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٨٨ ، وينظر توجيه هذه القراءات في الكشف ٢ / ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٦٨ ، والمغني للدكتور / محمد سالم محيسن ٣ / ٤٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

ذلك من الأغراض التي سعى ـ رحمه الله ـ إلى تحقيقها عن طريق إيراد هذه القراءات الشاذة والاحتجاج بها، ومن أمثلة ذلك أنه ذكر تأويلين في قراءة: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ (١) بتثقيل اللام من غير ألف(٢) ، الأول : أنه من الإزلال وهو الإزهاق ، يقال : زل عن كذا وأزله غيره ، وفي الإزهاق معنى السرعة ، وكذلك كان الأمر ، و(عنها) متعلق بـ (أزلهما) ، والضمير للجنة ، الثاني : أنه من قولك : زل الرجل إذا أتى زلة ، وأزله غيره إذا حمله على ذلك ، فيكون الضمير للشجرة ، والمعنى : فحملهما الشيطان على الزلة بسببها(٣) ، وتحقيقه ، فأصدر الشيطان زلتهما عنها ، وبهذا التأويل عدى بـ (عن) وعن هذه مثلها في قوله :

﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ﴾ (٤) ، أي وما أصدرت فعله عن أمري ، ثم قال : ويقوي هذا التأويل قراءة عبد الله : (فوسوس لهما الشيطان عنها) (٥) ، أي أصدر وسوسته لهما عن الشجرة(٦) .

وقوله في توجيه قراءة من قرأ ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ﴾ (٧) بالرفع(٨) : أنه جعله مبتدأ، وفي الخبر وجهان: أحدهما: أن تكون الجملة التي هي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾ (٩)، كأنه قيل : ولباس التقوى هو خير ، والثاني : أن يكون

---

(١) سورة البقرة ، آية ٣٦ .
(٢) وهي قراءة غير حمزة ، وقراءته بألف بعد الزاي مخففة اللام . النشر ٢ / ١٥٨ ، ١٥٩ ، الإتحاف ١٧٦ .
(٣) فتكون "عن" في هذه الحالة للسبب ، كقوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ ﴾ التوبة : ١١٤ ، وينظر : البحر المحيط ١ / ٣١١ - ٣١٤ .
(٤) سورة الكهف آية ٨٢ .
(٥) قراءة شاذة . مختصر ابن خالويه : ١٢ ، والبحر المحيط ١ / ٣١٣ .
(٦) اللآلئ الفريدة ٢ / ١٩ ، ٢٠ ، والتأويلان في البحر المحيط ١ / ١٦٢ .
(٧) سورة الأعراف ، آية ٢٦ .
(٨) الرفع لابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف العاشر ، والنصب للباقين . النشر ٢ / ٢٠١ ، والإتحاف : ٢٨١ .
(٩) إملاء ما من به الرحمن للعكبري ١ / ٢٧١ .

المفرد الذي هو (خير) على أن يكون (ذلك) صفة للمبتدأ ، كأنه قيل : ولباس التقوى المشار إليه خير(١) ، ثم استشهاده لهذا الوجه بأنها في قراءة عبد الله وأُبَي (ولباس التقوى خير(٢)) (٣) .

وفي توجيه قراءة من قرأ ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ ﴾ (٤) بفتح الياء وكسر الراء(٥) ، ذكر أنه أسند الفعل فيها إلى ضمير الرب ـ سبحانه ـ لتقدم ذكره في قوله : ﴿ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ (٦) ، وحذف مفعوله ، أي : من يصرف عنه العذاب ، وجاز حذفه للعلم به حيث تقدم ذكره ، ثم حكى قول مكي : ولا يحسن أن يقدر حرف (ها) مع (يصرف) لأن الهاء إنما تحذف من الصلات(٧) ، وعقب عليه بأن هذا القول فيه نظر ؛ لأنها تحذف من الصلات والصفات والأخبار والأحوال نحو : جاء الذي طلبت ، والناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت ، وزيداً لعنت ، ومررت بهند تضرب زيداً ، غير أن حذفها من الصلة أحسن .. ، ثم قال : وينصر القراءة بإسناد الفعل إلى الله تعالى قراءة من قرأ ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ ﴾ (٨) ، و(من يصرفه الله عنه) (٩) ، وكلتاهما مرويتان عن أُبي ﷺ(١٠) .

والإمام الفاسي ـ كما رأيت ـ قد يقتصر على شاهد واحد من القراءات الشاذة في توجيه القراءات المتواترة والاحتجاج لها ، وقد يورد أكثر من شاهد إذا تيسر له ذلك .

---

(١) السابق نفسه .
(٢) قراءة شاذة . البحر المحيط ٤ / ٢٨٤ ، ٢٨٥.
(٣) اللآليء الفريدة ٢ / ٤٣٥ بتصرف يسير.
(٤) سورة الأنعام آية ١٦ .
(٥) وهي لحمزة والكسائي وشعبة ويعقوب وخلف العاشر ، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء . النشر ٢ / ١٩٣ ، والإتحاف ٢٦١ .
(٦) سورة الأنعام ، آية : ١٤ .
(٧) وليس في الكلام موصول ؛ لأن " من " للشرط لا صلة لها . الكشف ١ / ٤٢٥ .
(٨) قراءة شاذة ، نسبت لأُبَيّ في البحر المحيط ٤ / ٩١ .
(٩) قراءة شاذة ، نسبت لأُبَيّ في مختصر ابن خالويه : ٤٢.
(١٠) ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

وإذا كان في أكثر المواطن يكتفى بذكر القراءة الشاذة من دون توجيه لها أو بيان لمعناها ، فإننا نجده في بعض المواطن يهتم بتوجيهها ويكشف عن معناها ، ومن ذلك توجيهه قراءة فتح سين (السلم) من قوله تعالى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ (١) ، بأن المراد ها هنا الصلح ، واستدلاله على ذلك بقراءة الأعمش : : (ادخلوا في السلم) بفتح السين واللام(٢) ، وبيان معناها بقوله : أي في الاستسلام والطاعة(٣) ، ومعناهما قريب من معنى الصلح(٤) .

وقوله في سياق توجيه قراءات قوله تعالى : ﴿ يُوصَىٰ بِهَآ ﴾ (٥) : وقرئ في الشاذ (يُوَصَّي) بالفتح والتثقيل في الموضعين(٦) ، فالفتح على ما تقدم ـ أي من بناء الفعل لما لم يسم فاعله وإقامة الجار والمجرور مقام الفاعل ـ والتثقيل على معنى التكثير(٧)

فالقراءات الشاذة هي الأخرى حجة عند الإمام الفاسي للقراءات المتواترة وشاهد لها ، ولعل هذا خير دليل على ثقته البالغة بهذه الشواذ وعلمه بقوتها وأهميتها(٨).

(١) سورة البقرة ، آية ٢٠٨ .
وقراءة الفتح لنافع وابن كثير والكسائي وأبي جعفر وبالكسر قرأ الباقون . النشر ٢ / ١٧١ ، والإتحاف ٢٠١ .
(٢) قراءة شاذة . الكامل للهذلي ٥ / ١٢١ .
(٣) الكشاف للزمخشري ١ / ٢٤٩ .
(٤) اللآلئ الفريدة ٢ / ١٢٨ ، وينظر في توجيه قراءات هذا الحرف : حجة ابن خالويه ٤٢ ، والكشف ١ / ٢٨٧ .
(٥) سورة النساء ، الآيتان ١١ ، ١٢ .
وقد قرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة بفتح الصاد في الموضعين ، ووافقهم حفص في الأخير منهما ، وقرأ الباقون بالكسر فيهما . النشر ٢ / ١٨٦ ، والإتحاف ٢٣٨ .
(٦) قراءة شاذة ، نسبت لأبي الدرداء وأبي رجاء في مختصر ابن خالويه ٣١ .
(٧) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٨٤ ، وينظر : إملاء ما من به الرحمن ١ / ١٧٠.
(٨) للمزيد من الأمثلة ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٠ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٣ ، ١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٣٤٥ ، ٣٦١ ، و٣ / ٥١ ، ١٨٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٨٠ ، وغير ذلك .

المبحث الرابع
توجيه القراءات بالحديث الشريف

أورد الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ عدداً من الأحاديث النبوية الشريفة في سياق توجيهه القراءات والاحتجاج لها والاستشهاد على بعض معانيها .

وبالنظر فيما أورده من أحاديث في هذا المقام نجد أنه غالباً ما يسوق الحديث محتجاً به لقراءة معينة من القراءات الواردة في بعض الحروف القرآنية من دون أن ينص على تقوية هذا الحديث للقراءة المذكورة ، أو كونه سبباً في نزولها ، أو دليلاً على اختيارها أو غير ذلك من الأمور التي نبه عليها في احتجاجه بالحديث الشريف ، ومن ذلك ما ذكره في توجيه قراءة من قرأ بعدم تنوين ، " درجات " من قوله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ (١) من أنه أوقع الفعل على الدرجات وأضافها إلى (من نشاء) ، فإذا رفعت الدرجات فصاحبها مرفوع ، ثم حكايته رواية اليزيدي عن أبي عمرو أن الدرجات ها هنا بمعنى الأعمال ، فكأنه قال : نرفع أعمال من نشاء ، واستشهاده لذلك بحديث " اللهم ارفع درجته في عليين "(٢) .

وإن كان هذا ـ كما ذكرت ـ هو الغالب في احتجاج الإمام الفاسي للقراءات بالأحاديث النبوية ، فإننا نجده أحياناً ينبه على بعض الأمور في سياق احتجاجه بالحديث.

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٨٣ ، وسورة يوسف ، آية ٧٦ .
وقد قرأ الكوفيون بالتنوين فيهما ، ووافقهم يعقوب في موضع الأنعام ، وقرأ الباقون بعدم التنوين فيهما . النشر ٢ / ١٩٥ ، والإتحاف ٢٦٨ ، ٣٣٤ .

(٢) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٩١ .
هو جزء من حديث في مسند الإمام أحمد ٦ / ٢٩٧ برقم (٢٦٥٤٣) ، وهو فيه بلفظ : وارفع درجته في المهديين " ، والحديث بكماله : عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شَق بصرُه فأغمضه ثم قال : إن الروح إذا قُبض تبعه البصر ، فضجّ ناس من أهله فقال : لا تدعو على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، ثم قال : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين ، اللهم افسح في قبره ونوّر له فيه " .

فقد ينص على تقوية الحديث الذي يورده لقراء معينة ، ومن ذلك قوله في سياق توجيه قراءة كسر واو (مسومين) من قوله تعالى : ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١) ، ويقوي القراءة بالكسر أن النبي ﷺقال يوم بدر "سوِّموا فإن الملائكة قد سوّمت "(٢) .

وقد ينبه على كون الحديث الذي يحتج به سبباً في نزول الآية ، كما قال في توجيه قراءة فتح التاء وإسكان اللام من (تسأل) في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (٣) .

والحجة لمن جعل " لا " نهياً : ما روي أن النبي ﷺ سأل : أي أبويه أحدث موتاً ليستغفر له(٤) ، فنزلت الآية في النهي عن السؤال عن أصحاب الجحيم، وروي أنه قال: " ليت شعري ما فعل أبواي "(٥) فنزل النهي عن السؤال عنهما(٦) .

وكذلك في توجيهه قراءة كسر خاء (اتخذوا) من قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾ (١) ، حيث قال : والحجة لمن قرأ بكسر الخاء على

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٢٥ ، وقد سبق بيان القراءات في هذا الحرف .

(٢) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٤٦ .

والحديث في سنن سعيد بن منصور ، كتاب الجهاد ، باب جامع الشهادة ح (٢٨٦١) ، وغريب الحديث لابن الجوزي ١ / ٥٠٩ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ٤٢٥ .

قال في الكشف ١ / ٣٥٦ : " فأضاف الفعل إلى الملائكة ، فدل ذلك على وجوب كسر الواو في مسومين " .

(٣) سورة البقرة ، آية ١١٩ .

وقد قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء وجزم اللام على النهي، وقرأ الباقون بضم التاء والرفع على الخبر. النشر ٢ / ١٦٦ ، والإتحاف ١٩١ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٠١ ، وهذا قول بعيد ؛ لأن المعروف عند أهل العلم قاطبة أن أباه توفي وهو ﷺ جنين في بطن أمه ولم يره ، أما أمه فماتت وهو ابن خمس سنين ، فهذا مما لا يتوهم خفاؤه عليه ﷺ . ينظر : هامش رقم (١) في المصدر السابق نفسه..

(٥) الحديث ذكره صاحب كتاب الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء ٧ / ٥٣٣ تحت عنوان : مرسل محمد بن كعب القُرظي ، حديث رقم (٧٢٨٧) ، وقال عنه السخاوي في الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية ١ / ٢٨١ : " أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره من طريق وكيع وعبد الرازق ... وهو مرسل وموسى ضعيف " ، وينظر : جامع البيان للطبري ١ / ٥٦٣ .

(٦) اللآلئ الفريدة ٢ / ٧٩ ، وينظر في توجيه القراءتين : الكشف ١ / ٢٦٢ .

الأمر ما روي أن النبي ﷺ أخذ بيد عمر رضي الله عنه فلما أتيا المقام قال عمر : هذا مقام أبينا إبراهيم ، فقال النبي "نعم" فقال عمر : أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (٢) ، وكان ذلك سبب النزول(٣)

كما نراه في بعض الأحيان يورد الحديث في سياق ذكره اختيار بعض العلماء قراءة من القراءات ، وكأنه يعضد هذا الاختيار ويحتج له بما يذكر من الأحاديث ، ومن ذلك ما ذكره في توجيه قراءة المد والياء في (حامية) من قوله تعالى : ﴿ تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ (٤) أن أبا عبيد قد اختار (حامية) لأن عليها جماعة من الصحابة ... ثم احتجاجه بما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : كنت رديف رسول الله ﷺ فرأى الشمس حين تَغْرب فقال : أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : إنها تغرب في عين حامية "(٥) .

وقد يسوق الحديث في مقام التوضيح والبيان لما تفيده بعض الوجوه القرائية من معان ، كقوله في توجيه قراءة من قرأ بالنون وكسر العين في (نرتع ونلعب) من قوله تعالى : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ (٦) ، إنه أخبر عنهم ـ يريد

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٢٥ .
وقد قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء والباقون بكسرها . الكافي لابن شريح : ٨٢ ، والنشر ٢ /١٦٧ ، والإتحاف : ١٩٢ .
(٢) الحديث في سنن ابن ماجة ١ / ٣٢٢ ، كتاب إقامة الصلاة ، باب القبلة، وحلية الأولياء٣/٣٠٢ ، وينظر : فتح الباري ٨ / ١٦٩.
(٣) اللآلئ الفريدة ٢ / ٨٣ .
(٤) سورة الكهف آية : ٨٦ .
وقد قرأ نافع وابن كثير والبصريان وحفص بالهمز من غير ألف ، وقرأ الباقون بالألف وفتح الياء من غير همز . النشر ٢ / ٢٣٦ ، والإتحاف ٣٧١ .
(٥) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٣٣ ، بتصرف يسير .
والحديث رواه البخاري في صحيحه (٢ / ١٥١٥) ، كتاب التفسير ، باب " والشمس تجري لمستقر لها " ح (٤٨٠٢) ، و(٤ / ٢٣١٩) ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (تعرج الملائكة والروح إليه) ح (٧٤٣٣) ، ورواه مسلم في صحيحه (١ / ١٣٨) ، كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ح (١٥٧) .
(٦) سورة يوسف ، آية ١٢ .
وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما ، وقرأ الباقون فيهما بالياء ، وكسر العين من "نرتع " المدنيان وابن كثير ، وأثبت قنبل الياء فيها في الحالين بخلاف ، وأسكن الباقون العين . النشر ٢ / ٢٢٠ ، والإتحاف : ٣٢٩ .

إخوة يوسف عليه السلام ـ بإسنادهم الفعلين إلى أنفسهم ... فإن قيل : كيف صح إسناد اللعب إليهم وهم أنبياء ؟ فالجواب أن أبا عمرو سئل عن ذلك ، فقال : لم يكونوا يومئذ أنبياء(١) ، ثم حكايته قول أبي علي : فإن صح فهو ذلك ، وإلا فوجهُه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لجابر(٢) " فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك "(٣) يعني أن التشاغل به للجماع والتقوى على الطاعة قد يباح (٤).

هذا ، وهناك العديد من المواضع الأخرى التي احتج فيها الإمام الفاسي للقراءات بالحديث النبوي الشريف(٥) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/٩.
(٢) جابر بن سمرة ، له صحبة مشهورة ورواية أحاديث ، شهد فتح المدائن ، توفي في ولاية بشر ابن مروان على العراق سنة أربع وسبعين. ينظر: طبقات ابن سعد ٦ / ١٤ ، والإصابة ١ / ٤٣١.
(٣) الحديث في صحيح البخاري ٣ / ٣٩٨ ، كتاب النكاح ، باب " تَسْتَحِدُّ الْمُغِيبَةُ وتَمْتَشِطُ الشَّعِثَةُ " ح (٥٢٤٧) .
(٤) اللآلئ الفريدة ٣ / ٣٨ بتصرف يسير ، وقول أبي علي في حجته ٢ / ٤٣٦ .
(٥) للمزيد من الأمثلة ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ١١٥ ، ١٢٥ ، ٢٠٩ ، ٤١٥ ، و٣ / ٣٢٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، وغير ذلك .

المبحث الخامس
توجيه القراءات بالشعر

يعتبر الشعر مصدراً أصيلاً ومعلماً من أهم معالم توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ والناظر في هذا الأسلوب من أساليب التوجيه والاحتجاج للقراءات عند الإمام الفاسي يلاحظ تفوقه على غيره كالقرآن والقراءات والحديث النبوي عدد شواهد ، فقد أكثر إمامنا ـ رحمه الله ـ من الاستعانة بالشعر في سياق توجيه القراءات والاحتجاج لها .

والإمام الفاسي في أكثر المواطن لا يذكر الشاهد الشعري إلا كاملاً ، فقد يأتي بما قبل البيت الذي يتضمن الشاهد أو بما بعده حتى يتحقق المعنى ويتم له الاستشهاد بما يريد ، ومن ذلك احتجاجه لما ذهب إليه البعض في معنى (تفادوهم) من قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ ﴾ (١) من أن معنى فداه : أعطى فيه فداء ، ومعنى فاداه: أعطى فيه أسيراً مثله ، بقول الشاعر :

ولكننى فادَيْتُ أمى بعدما ... علا الرأسَ منها كَبْرَةٌ ومشيبُ

بِعَبْدَيْنِ مَرْضِيَّيْنِ لم يكُ فيهما ... لِئِنْ عُرضَا للناظرين مَعِيبُ(٢)

فقد استعمل فادي هنا بمعنى أعطى فيه مثله ، وفي اللسان : فدى إذا أعطى مالاً ، وفادى إذا أعطى رجلاً وأخذ رجلاً(٣) .

وقد يقتصر من البيت على ما يتحقق به الاستشهاد إذا تم له ذلك ، كقوله في توجيه قراءة الهمز في(التناؤش) من قوله تعالى:﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ

---

(١) سورة البقرة ، آية ٨٥ .
وقد قرأ نافع وعاصم والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بضم التاء وفتح الفاء وألف بعدها ، وقرأ الباقون بفتح التاء وسكون الفاء بلا ألف . النشر ٢ / ١٦٤ ، والإتحاف ١٨٤ .
(٢) اللآلئ الفريدة ٢ / ٥٤ ، وينظر أيضاً ٢ / ١٦٤ وغيرها .
والبيتان من شواهد السمين الحلبي في الدر المصون ١ / ٢٢٩ ، وقد نسب البيت الأول لنصيب في لسان العرب (ف د ى) .
(٣) لسان العرب (ف د ي) .

بَـعِيدٍ (١) والوجه في قراءة من قرأ بالهمز أنه همز الواو المضمومة كما همزت واو أَدْؤُرٍ ووُقِّتَتْ ونحوها ، وعن أبي عمرو بن العلاء التاؤش بالهمز التفاؤل من بعد ، يقال : نأش إذا أبطأ وتأخر(٢) ، ومنه قوله :

تمنى نئيشاً أن يكون أطاعني(٣)

أي : أخيراً(٤) .

وكان الإمام الفاسي غالباً ما يكتفي بالشاهد الواحد في توجيه القراءة والاحتجاج لها، ومن ذلك إيراده بيتاً واحداً للاحتجاج لقراءة الهمز من غير ألف في (حامية) من قوله تعالى : ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ (٥) ، فقد ذكر أن ابن عباس كان عند معاوية فقرأ معاوية (حامية) ، فقال ابن عباس : حَمِئة ، فقال معاوية لعبد الله بن عمر : فكيف تقرأ ؟ قال : كما يقرأ أمير المؤمنين ، ثم وجه معاوية إلى كعب الأحبار : كيف تجد الشمس تغرب ، فقال : في ماء وطين ، كذا نجده في التوراة(٦) ، فوافق قول ابن عباس ، ثم احتج لهذا القول بقول تبع :

فَرأى معيبَ الشمسِ عند مآبها في عينِ ذي خُلُبٍ وَثَأْطٍ حَرْمَدِ(٧)

أي : في عين ماءٍ ذي طين وحمأٍ أسود(٨) .

---

(١) سورة سبأ ، آية ٥٢ .
وقد قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف العاشر وشعبة بالمد والهمز ، وقرأ الباقون بالواو المحضة بعد الألف من غير مد .
النشر ٢ / ٢٦٣ ، والإتحاف : ٤٦١ .
(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف ٣ / ٤٦٨ .
(٣) من الطويل ، وعجزه : وقد حدثت بعد الأمور أمور
وهو لنهشل بن حَرِيّ ، ومعناه : تمنى في آخر الأمر أن يكون أطاعني في نصيحتي لما رأى حسن عاقبة أمري وسوء عاقبة أمره ، ولكن حدثت بعد الأمور السهلة أمور صعبة تمنعه من التخلص مما هو فيه .
ينظر البيت في : الكشاف للزمخشري ٣ / ٤٦٨ ، ولسان العرب (ن أ ش) .
(٤) اللآلئ الفريدة ٣ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وينظر أيضاً ٣ / ٢٤٩ وغيرها .
(٥) سورة الكهف ، آية : ٨٦ .
وقد قرأ نافع وابن كثير والبصريان وحفص بغير ألف بعد الحاء وهمز الياء ، وقرأ الباقون بالألف وفتح الياء من غير همز ، النشر ٢ / ٢٣٦ ، والإتحاف : ٣٧١ .
(٦) ينظر هذا الأثر في الكشف ٢ / ٧٤ ، والكشاف للزمخشري ٢ / ٧١٥ .
(٧) البيت من الكامل ، وهو لتبع الأكبر اليماني يصف جده ذي القرنين .
والخلب بضمتين : الطين الصلب اللازب ، والثأط : الحمأة المختلطة بالماء ، والحرمد : الطين الأسود .
ينظر البيت في الكشاف للزمخشري ٢ / ٧١٥ ، وإبراز المعاني : ٥٧٥ ، والبحر المحيط ٦ / ١٥١.
(٨) اللآلئ الفريدة ٣ /١٣٢ ، ١٣٣ .

وقد لا يكتفى بالشاهد الواحد ، بل يورد شاهدين للقراءة ، ومن ذلك ما فعله في الاحتجاج لقراءة التشديد في نون (إن) ، والألف في (هذان) من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ (١) ، فقد ذكر أنها لغة بني الحارث بن كعب(٢) كعب(٢) يجعلون الاسم المثنى كالأسماء المقصورة(٣) ، ويقولون : أخذت برجلاه برجلاه ، ونظرت إلى أذناه ، ورأيت الزيدان ، ثم احتج لذلك بما أنشده الفراء :

وأَطرقَ إطراقَ الشجاعَ ولو يَرَى مساغاً لِنَابَاهُ الشجاعُ لَصَمَّمَا(٤)

وبما أنشده غيره :

إن أَبَاها وأَبَا أَبَاها قد بلغَا في المجد غايتَاها(٥)(٦) .

وقد يكثر عدد الشواهد فيبلغ ثلاثة في الموضع الواحد ، ومن ذلك ما أورده في الاحتجاج لقراءة عدم الهمز والياء في (ميكال) من قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ (٧) ، فقد ذكر أن حجة هذه

---

(١) سورة طه ، آية : ٦٣ .
وقد قرأ نافع وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف العاشر بتشديد إن وهذان بالألف وتخفيف النون ، وقرأ ابن كثير بتخفيف إن وهذان بالألف مع تشديد النون ، وقرأ حفص كذلك إلا أنه خفف نون هذان ، وقرأ أبو عمرو بتشديد إن وهذين بالياء مع تخفيف النون . النشر ٢ / ٢٤٠ ، ٢٤١ ، والإتحاف ٣٨٤ .

(٢) بطن من تميم من العدنانية ، وهم بنو الحارث الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، معجم قبائل العرب ١ / ٢٣١ ، وينظر : موسوعة قبائل العرب ١ / ٣٠٤ .

(٣) فيثبتون الألف في الجر والنصب كما تثبت في الرفع .

(٤) البيت من الطويل وهو للمتلمس الضبعي في ديوانه : ٣٤ ، والإطراق : السكون ، والشجاع : الذكر من الحيات ، وصمما : أي عض في العظم ، والشاهد في قوله : " لناباه " حيث أعرب المثنى بالألف في حالة الجر ، وذلك على لغة من يلزم المثنى الألف في أحواله كلها .
ينظر البيت في معاني القرآن للفراء ٢ / ١٨٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٩٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٧ ، وشرح المفصل ٣ / ١٢٨ .

(٥) بيتان من مشطور الرجز ، وهما لرؤبة بن العجاج في ديوانه ١٦٨ ، والشاهد قوله : " غايتاها ، حيث أعرب المثنى بالألف في حالة النصب على لغة بعض العرب في لزوم المثنى الألف في أحواله كلها . ينظر : حجة ابن خالويه ١٤٦ ، ومغني اللبيب ١ / ٨٧ ، وأوضح المسالك ١ / ٤٦ .

(٦) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٦٦ ، ١٦٧ ، وينظر أيضاً : ٣ / ٢٤٢ ، وغيرها .

(٧) سورة البقرة ، آية ٩٨ .
وقد قرأ البصريان وحفص (ميكال) بغير همز ولا ياء بعدها ، وقرأ المدنيان وقنبل بخلفه بهمزة من غير ياء بعدها ، وقرأ الباقون ومعهم قنبل في ثاني وجهيه بهمزة بعدها ياء . النشر ٢ / ١٦٥ ، والإتحاف ١٨٨ .

القراءة الإتيان به على أبنية العرب ؛ لأنه كميعاد وميقات ، وأن لغة أهل الحجاز كذلك(١) ، ثم احتج لها بقول الشاعر يمدح رسول الله ﷺ:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر جبريل وميكال(٢)

وقول الآخر :

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرائيل وكذبوا ميكالا (٣)

وقول ورقة بن نوفل :

وجبريل يأتيه وميكال معهما(٤)

وكان الإمام الفاسي يكرر بعض الشواهد التي يصح الاحتجاج بها لعدد من القراءات ، ومن ذلك احتجاجه بقول الشاعر :

يُزِلُّ الغلامُ الخِفَّ عن صَهَواتِهِ(٥)

لقراءتين، قراءة حذف الألف وتشديد اللام في (فأزلهما) من قوله تعالى:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ (٦) ، وقراءة الجمع في (غيابات) من قوله قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ٧٢ .
(٢) البيت من البسيط ، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ٣٩٤ ، وفي لسان العرب (م ك ا) ، ونسب لكعب بن مالك في حجة أبي علي ١ / ٣٥٠ وغيرها .
(٣) البيت من الكامل ، وهو لجرير في ديوانه ١ / ٥٢ ، وينظر : حجة أبي على ١ / ٣٥٠ ، والبحر المحيط ١ / ٤٨٦ .
(٤) من الطويل ، وعجزه : من الله وحي شرح الصدر منزل ، وقد نسب إلى ورقة بن نوفل في زاد المسير ١٠٣/١ ، والبحر والبحر المحيط ١ / ٤٨٥ .
(٥) من الطويل ، وعجزه : ويلوي بأثوابِ العنيفِ المُثَقَّلِ .
وهو لامرئ قيس في ديوانه : ٥٤ ، والخِف : كل شيء خف محمله ، والصهوات ، جمع صهوة وصهوة الشيء أعلاه ، وهي من الفرس موضع اللِّبْدِ من ظهره . ينظر البيت في : لسان العرب (خ ف ف) ، والبحر المحيط ١ / ٣١٢ .
(٦) سورة البقرة ، آية : ٣٦ .
وقد قرأ حمزة بألف بعد الزاي وتخفيف اللام ، وقرأ الباقون بالحذف والتشديد . النشر ٢ / ١٥٨ ، ١٥٩ ، والإتحاف ١٧٦ .
(٧) سورة يوسف ، آية ١٠ .

يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾(١)، فقد احتج به في القراءة الأولى على أنها من الإزلال ، وهو الإزهاق ، ويقال في مثلها : زل عن كذا ، وأزله غيره(٢)، وفي القراءة الثانية على جعل كل ما حول الغيابة غيابة ، فجمع الغيابة وما حولها(٣) .

هذا ، وقد سلك الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ مسلك غيره من العلماء في الترتيب بين الشواهد ، فأخر الشواهد الشعرية عن غيرها من شواهد القرآن والقراءات والحديث النبوي(٤) ، مما يدل على أن هذه الشواهد عنده مقدمة على الشعر في القيمة والاعتبار .

(١) سورة يوسف ، آية ١٥ .
وقد قرأهما المدنيان بالجمع ، والباقون بالإفراد . النشر ٢ / ٢٢٠ ، والإتحاف : ٣٢٩ .
(٢) ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ١٩ .
(٣) السابق ٣ / ٣٦ .
(٤) ينظر على سبيل المثال : السابق ٢ / ٦٢ ، ٢٨٧ ، ٣٩٣ ، ٥١٤ وغير ذلك .

المبحث السادس

توجيه القراءات برسم المصحف

تعتبر موافقة القراءة رسم المصحف من أهم معالم توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ ومن المقرر أن موافقة الرسم أحد أركان القراءة الصحيحة، والمراد بهذه الموافقة ما كان ثابتاً في بعض المصاحف العثمانية دون بعض، كقراءة ابن عامر ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ في البقرة(١) بغير واو(٢) ﴿ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ (٣) ، بزيادة الباء في الاسمين(٤) ونحو ذلك ، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي(٥) ، وكقراءة ابن كثير ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ في الموضع الأخير من سورة براءة(٦) بزيادة " من "(٧) "(٧) فإن ذلك ثابت في المصحف المكي(٨) ، إلى غير ذلك من المواضع التي اختلفت اختلفت فيها المصاحف(٩) .

وموافقة الرسم قد تكون تحقيقاً ، وهي الموافقة الصريحة ، وقد تكون تقديراً ، وهي الموافقة احتمالاً كقراءة ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (١٠) بحذف الألف

---

(١) آية ١١٦ .
(٢) وقرأ الباقون بالواو كما هو في مصاحفهم . النشر ٢ / ١٦٥ ، وينظر : الإتحاف : ١٩٠ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٨٤ .
(٤) وقراءة الباقين بغير باء فيهما . التيسير : ٧٧ ، والنشر ٢ / ١٨٤ ، ١٨٥ ، والإتحاف ٢٣٣ .
(٥) ينظر: المقنع ١٠٦ ، والوسيلة ١٢٨ .
(٦) آية : ١٠٠ .
(٧) قرأ ابن كثير بزيادة " من " وخفض " تحتها " وقرأ الباقون بحذف " من " وفتح " تحتها " النشر ٢/ ٢١١ ، والإتحاف : ٣٠٦ ٣٠٦ .
(٨) المقنع : ١٠٨ ، والوسيلة : ١٥٩ ، ١٦٠ .
(٩) ينظر النشر ١ / ١٦ .
(١٠) سورة الفاتحة ، آية : ٤ .

وإثباتها(١) . وقد نص الإمام الفاسي في كثير من مواطن التوجيه في كتابه على اتباع اتباع القراء رسم المصحف واقتدائهم بسنته وتركهم مخالفته(٢) .

والناظر في توجيه القراءات بالرسم والاحتجاج لها به عند الإمام الفاسي يجد أنه لم يكتف في هذا المقام بمجرد ذكر موافقة القراءة للرسم فقط ، وإنما قد ينص على أن الرسم شاهد للقراءة ومقوٍّ لها ودليل على صحتها ، ومن ذلك قوله في توجيه قراءتي الإثبات والحذف في واو (وسارعوا) من قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ (٣) : وجه القراءة بالواو في قوله : (وسارعوا) : العطف على قوله : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ (٤) ، ويشهد لإثباتها مصاحف مكة والكوفة والبصرة ، ووجه القراءة بغير الواو : الاستئناف والقطع .. ويشهد لحذفها مصاحف المدينة والشام(٥) . وقوله في سياق توجيه قراءة ابن عامر ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ ﴾ (٦) ، بضم الزاي وكسر الياء من " زين " ورفع لام " قتل " ونصب دال " أولادهم " وخفض همزة " شركائهم "(٧) ، وقول الناظم ـ رحمه الله ـ بعد تقييد القراءتين : " في مصحف الشامين بالياء مثلاً "(٨) تقوية لقراءة ابن عامر ؛ لأن المصحف شاهد للقراءة ومقوٍّ لها(٩) ، ثم ذكره أن قوله : " ومع رسمه " إلى آخر البيت(١) احتجاج

---

(١) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بالألف ، وقرأ الباقون بغير ألف . النشر ٢١٣/١ ، والإتحاف ١٦٢ ، ١٦٣ ، فمن قرأ بالألف وافق الرسم تقديراً ، ومن قرأ بغير ألف وافقه تحقيقاً . ينظر : القراءات الشاذة ، دراسة لنشأتها ومعاييرها لأستاذنا الدكتور / سامي هلال : ٤٦ .

(٢) ينظر : اللآلئ الفريدة ١ / ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ ، ٥٦٦ ، وغير ذلك .

(٣) سورة آل عمران أية : ١٣٣ .

(٤) سورة آل عمران أية : ١٣٢ .

وقد قرأ المدنيان وابن عامر بغير واو قبل السين، وقرأ الباقون بالواو . النشر ٢ / ١٨٢ ، والإتحاف: ٢٢٨ .

(٥) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٤٧ بتصرف يسير، وينظر المقنع : ١٠٦ ، وجميلة أرباب المراصد ٢٨٥ .

(٦) سورة الأنعام ، آية : ١٣٧ .

(٧) وقراءة الباقين بفتح الزاي والياء من " زين " ونصب لام " قتل " وخفض دال " أولادهم " ورفع همزة " شركاؤهم " : النشر ٢ / ١٩٧ – ١٩٩ ، والإتحاف ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٨) حرز الأماني ، بيت ٦٧١ .

(٩) اللآلئ الفريدة ٢ / ٤٢٢

احتجاج لقراءة ابن عامر سالفة الذكر ، أي : وقع كونه مرسوماً بالياء ، وهو مما يشهد لصحة روايته(٢)

وكان الإمام الفاسي ينبه في أغلب المواطن على موافقة القارئ مصحف بلده في القراءة ، ومن ذلك قوله في توجيه قراءتي الإثبات والحذف في واو (ويقول) من قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣) : والوجه في قراءة من أثبت الواو موافقة مصحفه ؛ لأن الذين أثبتوها هم الكوفيون وأبو عمرو البصري ، والواو ثابتة في مصاحف الكوفة والبصرة ... " ، والوجه في قراءة من قرأ بغير واو موافقة مصحفه أيضاً ؛ لأن الذين قرأوا بذلك هم : ابن كثير المكي ، ونافع المدني ، وابن عامر الشامي ، والواو غير مثبتة في مصاحف مكة والمدينة والشام(٤) .

ومن الجدير بالذكر هنا أن موافقة القارئ مصحف بلده في القراءة ليست لازمة ، وإنما هي في الغالب الأعم ، فقد يخالف الإمام مصحف بلده في بعض الحروف التي اختلفت فيها المصاحف ضرورة اعتماده على التلقي والرواية فيما يقرأ ، ولعل هذا من آكد الأدلة على أن المعتمد في القراءة هو الرواية والمشافهة أولاً ، ثم موافقة الرسم مما صح نقله من قراءات ثانياً ، فإن لم تتحقق الموافقة فيما يرويه القارئ من قراءات ثبت على روايته وإن خالفت الرسم(٥) ولم يغفل الإمام الفاسي هذا الأمر في سياق توجيهه القراءات والاحتجاج لها برسم المصحف ، بل ذكره ونبه عليه في بعض المواطن التي تحقق فيها ، ومنها ما ذكره في قراءات قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ ﴾ (٧) فقد بين أن ابن كثير وحمزة والكسائي قرأوا الموضع الأول " قل " بغير ألف على الأمر ، وقرأه الباقون بالألف على الخبر ،

---

(١) البيت بتمامه :
ومع رسمه زج القلوص أبي مزا ... دة الأخفش النحوي أنشد مجملا .
حرز الأماني ، بيت ٦٧٤ .
(٢) اللآلئ الفريدة ٢ / ٤٢٣ .
(٣) سورة المائدة ، آية ٥٣ .
(٤) اللآلىء الفريدة ٢ / ٣٣٨ – ٣٤٠ بتصرف ، وينظر : التيسير : ٨٢ ، والمقنع ١٠٧ .
(٥) ينظر : رسم المصحف ، دراسة لغوية تاريخية للدكتور / غانم قدوري الحمد ٦٠٠ .
(٦) سورة المؤمنون آية : ١١٢ .
(٧) سورة المؤمنون آية ١١٤ .

وأن حمزة والكسائي قرآ الموضع الأخير " قل " على الأمر ، وقرأه الباقون على الخبر ، ثم قال في سياق توجيه القراءتين في الموضعين : والفعلان مرسومان بغير ألف في مصاحف الكوفة ، وبألف في مصاحف مكة والمدينة والشام والبصرة ، فحمزة والكسائي وافقا مصاحف الكوفة ، وعاصم وافق غيرها ، أو وافقها على تقدير حذف الألف وإرادته ، وابن كثير وافق في الثاني مصاحف مكة ، وفي الأول غيرها أو إياها على تقدير حذف الألف من الرسم وإرادته ، والباقون وافقوا مصاحفهم في الأول والثاني "(١) .

وقد ينص الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ على كون الرسم أحد المعايير التي بنى عليها بعض الأئمة اختياره في القراءات ، كما فعل في توجيه قراءة حذف ألف (واعدنا) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ ﴾ (٢) حيث ذكر أن حجة من قرأ بحذف الألف : أن الله سبحانه وتعالى وعد موسى عليه السلام ما ذكره فهو منفرد بالوعد ، ثم قال : " واختار جماعة من الحذاق(٣) هذه القراءة لموافقة اللفظ للمعنى للمعنى والرسم "(٤) . هذا ، وقد يقتصر الإمام الفاسي على اتباع الرسم في توجيه القراءة والاحتجاج لها كقوله في توجيه قراءة حذف الياء وقفاً في ﴿ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ (٥) ، وأما (واد النمل) ، فأصله (وادي النمل) فحذفت الكسرة استثقالاً ، ثم حذفت الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين في الوصل ، وحذف من الرسم لذلك ، فمن وقف بالحذف اتبع الرسم ونوى ذلك ، أي أن ياءه قد تحذف في الوصل وإن لم يلقها

---

(١) اللآلئ الفريدة ٣ / ٢١٤ ، ٢١٥ ، وينظر : التيسير ١٣٠ ، والمقنع ٩٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٥١ ، وكذلك (وواعدنا موسى) الأعراف : ١٤٢ ، (وواعدناكم جانب الطور) طه : ٨٠ . وقد قرأ أبو جعفر والبصريان بغير ألف بعد الواو في المواضع الثلاثة ، وقرأ الباقون بالألف ، النشر ٢ / ١٥٩ ، والإتحاف ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٣) كأبي عبيد ، نص عليه النحاس في إعراب القرآن له ١ / ٥٢ .

(٤) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٣ .

(٥) سورة النمل ، آية ١٨ .

وقد وقف الكسائي ويعقوب بالياء ، ووقف الباقون بحذفها ، ولا خلاف في حذفها وصلاً للساكنين ، ينظر : النشر ٢ / ١٠٣ ، والإتحاف ١٤٠ ، ١٤١ ، ٤٢٦ ، والميسر ٣٧٨ .

ساكناً نحو ﴿ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ[١] ﴾ (٢) ، وهذا لا ينافي ما ذكره مراراً وتكراراً من أن الأصل في القراءة إنما هو التلقي والمشافهة .

لكنه في أكثر المواطن يجمع في توجيه القراءات والاحتجاج لها بين الرسم وغيره كالأثر(٣) والمعنى(٤) والشعر(٥) والأصل(٦) والوجوه النحوية(٧) وغير وغير ذلك .

ثم هو لا يلتزم منهجاً واحداً في ترتيب هذه الشواهد ، فتارة يقدم الرسم(٨) الرسم(٨) وتارة أخرى يقدم غيره(٩) .

ومن أراد المزيد من توجيه القراءات والاحتجاج لها بالرسم عند الإمام الفاسي فليرجع إلى اللآلئ الفريدة (١٠).

---

(١) سورة الفجر ، آية ٢٦ .
(٢) اللآلئ الفريدة ١ / ٥٢٥ .
(٣) ينظر: السابق ١ / ٥٢٧ ، ٥٦٦ وغيرهما .
(٤) ينظر: السابق ٢ / ١٩ ، ٢٠٦ وغيرهما .
(٥) ينظر : السابق ٢ / ١٩ وغيرها .
(٦) ينظر : السابق ٢ / ٣٠٧ ، ٤٨٠ وغيرهما .
(٧) ينظر: السابق ٢ / ٥٠١ ، ٣ / ٣٥٥ وغيرهما .
(٨) ينظر : السابق ٢ / ١٩ وغيرها .
(٩) ينظر السابق ٢ / ٦٥ ، ٨٩ ، ١٦٢ ، ٢٠٦ وغير ذلك .
(١٠) ينظر إضافة لما سبق: ١ / ٥٨٥ ، و٢ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٩٢ ، ٥٠٠ ، و٣/٣٤ ، ١٤٧ ، ٤٦٧ وغير ذلك .

المبحث السابع

توجيه القراءات بلغات العرب وأقوالهم

لقد كانت موافقة القراءة لبعض لغات العرب وأقوالهم من أبرز معالم توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ فقد وَجَّه القراءات واحتج لها بمجيئها على ما ورد عن العرب من لغات وأقوال ، والناظر في هذا الأسلوب من أساليب التوجيه عند الإمام الفاسي يرى أنه قد يصرح بأسماء أصحاب اللغات التي تحمل عليها تلك القراءات ، وهو في هذه الحالة إما أن يصرح بأسماء من عزا تلك اللغات إلى أصحابها، ومن ذلك ما فعله في توجيه قراءة إسكان الهمزة في ﴿ بَارِئِكُمْ ﴾ (١) والراء في ﴿ يَأْمُرُكُمْ ﴾ (٢) وشبههما ، فقد ذكر أن من أسكن طلب التخفيف لأجل توالي الحركات المستثقلة فيما هو كالكلمة ، ثم قال : وعزا الفراء الإسكان إلى بني تميم(٣) وبني أسد(٤) ، وذكر أنهم يخففوا مثل (يأمركم) بسكون بسكون الراء لتوالي الحركات(٥) .

وإما أن يذكر أسماء أصحاب اللغات من دون أن يصرح بأسماء من عزاها إليهم ، ومن ذلك ما ذكره في توجيه قراءتي كسر الراء وضمها في ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾

---

(١) سورة البقرة ، آية ٥٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٦٧ .

وقراءة الإسكان لأبي عمرو من روايتيه ، وللدوري وجهان آخران : الاختلاس وإتمام الحركة ، وللسوسي غير الإسكان وجه واحد : الاختلاس ، وقرأ الباقون بإتمام الحركة ، وكذلك حكم راء (يأمرهم) الأعراف: ١٥٧ ، (تأمرهم) الطور: ٣٢ ، (ينصركم) آل عمران : ١٦٠ ، والملك : ٢٠ (يشعركم) الأنعام : ١٠٩ . النشر ٢ / ١٥٩ ، ١٦٠ ، والإتحاف ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) تميم : قبيلة أفرادها من حاضرة نجد وجبل شمْر ، ويمكن حصرها في ثلاثة بطون ، وهي : بطن حنظلة بن مالك بن زيد زيد مناة بن تميم ، وبطن سعد بن زيد مناة بن تميم، وبطن عمرو بن تميم . ينظر: جمهرة أنساب العرب : ٢٠٧ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ١٢٥ .

(٤) أسد : قبيلة عظيمة من العدنانية ، تنسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهي ذات بطون كثيرة ، وكانت منازلهم فيما يلي الكرخ من أراضي نجد وفي مجاورة طيء موسوعة قبائل العرب ١/ ٤٠ ، وينظر أيضاً : لسان العرب (أ س د) ١ / ٧٧.

(٥) اللآلئ الفيدة ٢ / ٢٥ ، ٢٦ ، وينظر أيضاً : ٢ / ٤٢٥ ، ٤٧٨ ، و٣ / ٧٢ ، وغير ذلك .

(١) حيث قال : والوجه في قراءة (يعرِشون ، ويعرُشون) أنهما لغتان فصيحتان مستعملتان لأهل الحجاز(٢)(٣) .

وقد لا يصرح أصلاً بأسماء أصحاب تلك اللغات ، لكنه غالباً ما يضيف وصفاً يدل على فصاحة هذه اللغات أو شهرتها أو كثرة استعمالها أو غير ذلك ، وكانت عباراته في هذا الجانب تتردد حول " لغتان مشهورتان ، فصيحتان ، معروفتان ، مستعملتان ، لغة كذا هي الأصل ، لغة كذا أعرف ، لغة كذا أكثر " ونحو ذلك ، كقوله في قراءتى الفتح والإسكان في ﴿ شَنَـَٔانُ ﴾ (٤) ، والحجة للفتح والإسكان في (شنآن) أنهما لغتان معروفتان(٥) ، وقوله في قراءات الضم والكسر في ﴿ وَخُفَّـيَـةً وَخُفَّـيَـةً ﴾ (٦) والوجه في قراءتي الكسر والضم في (خفية) أنهما لغتان فصيحتان ، كعُدوة وعدوة وأُسوة وإِسوة(٧) ، وقوله في قراءتي الفتح والضم في ﴿ ﴿ مَكَـَٔتَ ﴾ (٨) : أنهما لغتان ، والفتح آكد وأشهر(٩) .

والإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ قد يستشهد لبعض اللغات التي تحمل عليها تلك القراءات بما يؤيدها من قرآن أو حديث أو شعر ، لا سيما في سياق الدفاع عن القراءات المطعون عليها من بعض العلماء وتوجيهها ، ومن ذلك استشهاده لقراءة

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٣٧ ، وسورة النحل آية ٦٨ .
وقد قرأ بضم الراء ابن عامر وشعبة ، وبكسرها قرأ الباقون . النشر ٢ / ٢٠٤ ، والإتحاف : ٢٨٩
(٢) الحجاز : جبل ممتد حالّ بين الغور غور تهامة ونجد ، كأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما . معجم البلدان ٢ / ٢٥٢ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٢ / ٤٥١ ، وينظر أيضاً ١ / ٦٩ ، و٢ / ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٧٨ وغير ذلك .
(٤) سورة المائدة ، الآيتان ٢ ، ٨ .
وقد قرأ ابن عامر وشعبة وابن وردان وابن جماز بخلف عنه بإسكان النون ، وقرأ الباقون بفتحها . النشر ٢ / ١٩٠ ، ١٩١ .والإتحاف : ٢٥٠ .
(٥) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٢٣ .
(٦) سورة الأنعام ، آية ٦٣ وسورة الأعراف ، آية : ٥٥ .
وقد قرأ بكسر الخاء فيهما شعبة ، وضمها الباقون . النشر ٢ / ١٩٥ ، والإتحاف ٢٦٥ .
(٧) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٨٠ ، ، وينظر أيضاً ٢ / ٤٣٨ ، ، ٤٩٤ ٤٥٠ و٣ / ٢٩٧ وغير ذلك.
(٨) سورة النمل ، آية ٢٢ .
وقد قرأ عاصم وروح بفتح الكاف ، وقرأ الباقون بضمها . النشر ٢ / ٢٥٣ ، والإتحاف ٤٢٧ .
(٩) اللآلئ الفريدة ٣ / ٢٤١.

التخفيف في لفظ (ينزل) (١) بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾(٢)، و ﴿وَبِٱلْحَقِّ و ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ (٣) و ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (٤) ، على أن " أنزل" في القرآن القرآن أكثر من " نزل "(٥) .

وقوله في قراءتي التثقيل والتخفيف في لفظ (يبشر) (٦) : وبَشَّرْتَه ، وَبَشَرْتُهُ وَبَشَرْتُهُ بالتثقيل والتخفيف لغتان ، وأنكر أبو حاتم التخفيف وقال : لا نعرف له أصلاً نعتمد عليه(٧) وإنكاره إياه ليس بصواب ، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال لرجل : " إن الله يبشرك بغلام "(٨) بالتخفيف فولد له غلام ولد ، وأنشد الفراء :

بَشَرْتُ عِيَالي إذْ رأيتُ صحيفةً أَتَتْكَ من الحَجَّاج يُتْلى كِتَابُها(٩) .

هذا ، وقد اهتم الإمام الفاسي بمسألة الجمع بين اللغات في سياق توجيه القراءات والاحتجاج لها ، حيث رأيناه في مواطن كثيرة يوجِّه الصور القرائية المختلفة بالجمع بين اللغتين ، خاصة فيما يخالف فيه القراء أو الرواة أصولهم في القراءة ، لكنه في هذا المقام لا يقتصر في التوجيه على الجمع بين اللغات وإنما يضيف إليه بعض المعالم الأخرى كصحة النقل واتباع الأثر ويشير إلى أن هذا مقدم في الاعتبار على الجمع بين اللغتين، ومن ذلك ذكره أن حفصاً تابع ابن كثير في صلة هاء الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ (١٠) ثم توجيهه ذلك بقوله : ولا حجة له

---

(١) سورة الإسراء، آية ١٠٥ .
(٢) سورة الكهف ، آية ١ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٢ / ٥٦ .
(٤) من مواضعه سورة البقرة آية ٩٠ ، وكذلك " تنزل " ، و" ننزل " حيث وقع .
وقراءة التخفيف لابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ، وقرأ الباقون بالتشديد ، راجع تفصيل ذلك في النشر ٢ / ١٦٤ ، والإتحاف ١٨٧ .
(٥) سورة آل عمران ، آية ٤ .
(٦) من مواضعه سورة آل عمران ، آية : ٣٩ .
وقد قرأ حمزة والكسائي بالتخفيف ، وقرأ غيرهما بالتثقيل. راجع تفصيل ذلك في النشر ٢ / ١٨٠ ، والإتحاف ٢٢٣ .
(٧) حكاه مكي في الكشف ١ / ٣٤٤ .
(٨) لم أقف على هذا الحديث .
(٩) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢١٨ .
والبيت من الخفيف ، ولم أقف له على قائل ، وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ١ / ٢١٢ ، وأبي حيان في البحر ٢ / ٤٦٥ ، والسمين في الدر ٢ / ٨٣ .
(١٠) سورة الفرقان ، آية ٦٩ .

ـ يريد حفصاً ـ في تخصيصه بالصلة إلا اتباع الأثر والجمع بين اللغتين ، ونظير ذلك تسهيله الهمزة الثانية في قوله : ﴿ ءَأَعۡجَمِيٌّ وَعَرَبِيّٞ ﴾ (١) مع أن مذهبه تحقيق الهمزتين ، وإمالته ﴿ مَجۡرٖىٰهَا ﴾ (٢) مع أن مذهبه الفتح في القرآن كله(٣) ، كله(٣) ، كذلك ذكره أن الكوفيين وابن كثير سكنوا الياء من قوله تعالى : ﴿ وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ في يوسف(٤) ، و﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ في هود(٥) هود(٥) ، فتعين للباقين وهم نافع وأبو عمرو وابن عامر الفتح ، وتعقيبه على ذلك بأن نافعاً وأبا عمرو على القاعدة المذكورة(٦) ، وأن ابن عامر مخالف لها ، ثم توجيهه هذه المخالفة بقوله : والعلة له في ذلك ـ بعد اتباع الأثر ـ الجمع بين اللغتين لا غير(٧) .

وقلّ أن نجده يذكر الجمع بين اللغتين من دون أن ينص معه على صحة النقل واتباع الأثر(٨) .

وأما عن احتجاجه بأقوال العرب ، فقد كان يستأنس بها ، ويحمل عليها بعض القراءات التي يقوم بتوجيهها ، إضافة إلى ما يذكره من معالم أخرى ، وكانت عباراته في هذا الجانب تتردد حول " وهو مسموع من العرب ، حكى فلان عن العرب ، من العرب من يقول كذا ، ومثله قولهم كذا" ونحوه ، ومن أمثلة ذلك قوله في سياق احتجاجه لقراءة حمزة ﴿ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾ (٩) بالخفض : والكوفيون يجيزون العطف المذكور ويختارون سواه ، وقد جاء ذلك في الكلام والشعر ، روى

---

(١) سورة فصلت ، أية ٤٤ .
(٢) سورة هود ، آية ٤١ .
(٣) اللآلئ الفريدة ١ / ٢١٣ .
(٤) آية : ٨٦ .
(٥) آية : ٨٨ .
(٦) وهي أن ياء الإضافة الواقعة قبل همزة قطع مكسورة يفتحها نافع وأبو عمرو ويسكنها الباقون .
(٧) اللآلئ الفريدة ١ / ٥٤٥ ، وينظر أيضاً ١ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ، ٣٤٧ ، ٥٣١ ، و١٤/٢ وغير ذلك .
(٨) ينظر على سبيل المثال : السابق ١ / ٥١٧ .
(٩) سورة النساء ، آية ١ .

قطرب(١) : ما فيها غيره وفرسه "(٢) ، وقوله في سياق الاحتجاج لقراءة شعبة وابن عامر ﴿ شَنَـَٔانُ ﴾ (٣) بإسكان النون : وقيل: الساكن النون صفة كغضبان وسكران ، حكى أبو زيد(٤) : رجل شَنْآن وامرأة شنأى وشنآنة أيضاً ، أي : لا يكسبنكم عداوة أو بغض قوم أن تعتدوا(٥) ، وقوله في سياق احتجاجه لقراءة ورش ورش ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ (٦) بإبدال الهمزة الثانية ألفاً : وهو ـ يعني البدل ـ مسموع من العرب ، حكاه قطرب وغيره(٧) ، وقوله في توجيه قراءة الكسائي ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا يَسْجُدُوا ﴾ (٨) بالتخفيف : ووجه قراءة الكسائي أنه جعل " ألا " للاستفتاح وأدخلها على ياء " اسجدوا " على معنى يا هؤلاء اسجدوا ، فيا حرف نداء والمنادى محذوف ، و" اسجدوا " فعل أمر ، وهي لغة للعرب فصيحة ، يقولون : أَلا يَا انْزِلُوا ، بمعنى : يا قوم انزلوا ، أو يا هؤلاء انزلوا(٩) .

ومن ثم يتضح لنا أن لغات العرب وأقوالهم من أهم وأبرز معالم توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى اللآلئ الفريدة (١٠).

---

(١) محمد بن المستنير بن أحمد ، الشهير بقطرب ، نحوي ، عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة ، وقطرب لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه ، من مؤلفاته : النوادر ، الأضداد، معاني القرآن . ينظر : بغية الوعاة ١ / ٢٤٢ ، والأعلام ٧ / ٩٥ .

(٢) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٧٧ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٢ .

(٤) سعيد بن أوس بن ثابت ، أبو زيد الأنصاري النحوي ، ولد سنة عشرين ومائة ، وتوفي بالبصرة سنة خمس عشرة ومائتين . ينظر : غاية النهاية ١ / ٣٠٥ .

(٥) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٢٤ .

(٦) من مواضعه سورة الأنعام ، آية : ٤٠ .

(٧) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٧١ .

(٨) سورة النمل ، آية ٢٥ .

(٩) اللآلئ الفريدة ٣ / ٢٤٣ ، وينظر أيضاً : ١ / ٢٢٢ ، ٥١٥ ، و٢ / ٣٣ ، ١٩٩ ، ٢١٨ ، و٣ / ١٦٦ ، وغير ذلك .

(١٠) ينظر : ١ / ١٤ ، ٦٩ ، ٢٧٨ ، ٣٤٧ ، ٤١٧ ، ٥١٧ و٢ / ٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٤٥٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨ ، ٥٠٢ ، ٥٢٣ و٣ / ١٨ ، ٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٩٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٧ ، وغير ذلك كثير.

المبحث الثامن

توجيه القراءات بالسياق

استعان الإمام الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ في توجيه بعض القراءات والاحتجاج لها بسياق القراءة ، وقبل الشروع في تقرير ذلك أبين معنى السياق فأقول ـ وبالله التوفيق :

السياق لغة : التتابع ، يقال : انساقت الإبل تساوقت إذا تتابعت ، وسياق الكلام : تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه(١) .

واصطلاحاً : تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية(٢) .

وقد كان السياق الذي احتج به الإمام الفاسي لبعض وجوه القراءات معنوياً يستفاد من المناسبة ، ولفظياً يعرف مما تقدم أو تأخر أو منهما معاً .

فمن السياق المعنوي قوله في توجيه قراءة كسر الشين وإسكان الراء وتنوين الكاف من غير همز في (شركاء) من قوله تعالى : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ ٣) : والوجه في قراءة من قرأ (شِرْكاً) أنه حذف من الكلام مضافٌ يصحح الكلام تقديره ، أي جعلا له ذا شرك(٤) ، أو ذوي شرك ، فيؤول المعنى إلى إلى : جعلا له شريكاً أو شركاء ... وتعضيده ذلك بما حكاه من قول مكي بن أبي طالب : لابد في هذه القراءة من تقدير حذف مضاف ، وإلا آل الأمر إلى المدح ، وليس المراد إلا الذم ، يعني أنه إذا لم يقدر حذف مضاف كان المعنى : جعلا له حظاً ونصيباً فيما آتاهما ، ومن جعل لله حظاً ونصيباً فيما آتاه فليس بمذموم ، فسلك طريقاً آخر من التقدير لا يناسب ما نزلت الآية فيه(٥) .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، والمعجم الوسيط ، مادة (س و ق) .

(٢) أثر دلالة السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني ، تهاني سالم ٢٩٤ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٩٠ .

والقراءة المذكورة لنافع وشعبة وأبي جعفر ، وقراءة الباقين بضم الشين وفتح الراء والمد وهمزة مفتوحة من غير تنوين . النشر ٢ / ٢٠٥ ، والإتحاف : ٢٩٤ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٣٢٠ .

(٥) اللآلئ الفريدة ٢ / ٤٦٨ ، ٤٦٩ بتصرف يسير ، وقول مكي في الكشف ١ / ٤٨٦ .

ومن السياق اللفظي المتقدم على القراءة احتجاجه لقراءة الغيب في (يقولون) من قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ (١) بأن من قرأ كذلك حمله على ما قبله من لفظ الغيب من قوله : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ(٢) ﴾ (٣) ، واحتجاجه لقراءة الياء في (لنجزين) من قوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم ﴾ (٤) بأن من قرأ كذلك حمله على ما قبله من قوله : ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ (٥)﴾(٦) .

ومن السياق اللفظي المتأخر عنها احتجاجه لقراءة مد (آتيتم) من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا ﴾ (٧) بأن من قرأ كذلك طلب المناسبة بينه وبين قوله ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ (٨)﴾ (٩) ، واحتجاجه لقراءة فتح نون وضم فاء (

(١) سورة البقرة ، آية ١٤٠ .
والقراءة المذكورة لنافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة وأبي جعفر وروح ، وقراءة الباقين بالخطاب . النشر ٢ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، والإتحاف ١٩٣ .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٣٧ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٢ / ٩١ .
(٤) سورة النحل ، آية ٩٦ .
والقراءة المذكورة لنافع وأبي عمرو وابن عامر بخلف عنه وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر، وقراءة الباقين بالنون. النشر ٢ / ٢٢٩ ، والإتحاف ٣٥٣ .
(٥) سورة النحل ، آية ٩٦ .
(٦) اللآلئ الفريدة ٣ / ٩١ ، وللمزيد من الأمثلة ينظر ٢ / ٢٣٩ ، و٣ / ٢٠٠ ، ٢٥٤ ، ٣٩٩ وغير ذلك .
(٧) سورة الروم ، آية : ٣٩ .
والقراءة المذكورة لغير ابن كثير ، وقراءته بالقصر . النشر ٢ / ١٧١ ، والإتحاف : ٢٠٤ ، ٤٤٤.
(٨) سورة الروم ، آية : ٣٩ .
(٩) اللآلئ الفريدة ٢ / ١٤٤ .

ننفخ) من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾(١) بأن من قرأ كذلك ناسب بينه وبين قوله : ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ(٢) ﴾ (٣) .

ومن السياق اللفظي السابق واللاحق قوله في توجيه قراءة سكون عين وضم تاء (وضعت) من قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ (٤) ، والوجه في قراءة من قرأ (وضعت) بسكون العين وضم التاء ، حمل الكلام على ما قبله وما بعده ؛ لأن الجميع من كلام أم مريم ، ولم تقل (وأنت أعلم بما وضعت) ، على ما يقتضيه نظم الكلام لما قصدته من التفخيم بوضع الظاهر موضع المضمر(٥) ، فجاء " وضعت وضعت " مناسباً لما بعد ذلك ، وما قبله في قولها : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ (٦) ، وقولها : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (٧) ، وقولها : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ (٨) ، وقولها :

﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ ﴾(٩)، وكله من كلام أم مريم، فحمل وسط الكلام على أوله وعلى آخره(١٠) ، كذلك قوله في توجيه قراءة النون وكسر زاي (ننزل) ونصب (الملائكة) من قوله تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (١١)

---

(١) سورة طه ، آية : ١٠٢ .
والقراءة المذكورة لأبي عمرو ، وقراءة غيره بالياء المضمومة وفتح الفاء . النشر ٢ / ٢٤٢ ، والإتحاف : ٣٨٨ .
(٢) سورة طه ، آية : ١٠٢ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٧٦.
(٤) سورة آل عمران ، آية : ٣٦ .
والقراءة المذكورة لابن عامر وشعبة ويعقوب ، وقراءة الباقين بفتح العين وإسكان التاء . النشر ٢ / ١٨٠ ، والإتحاف ٢٢٢ .
(٥) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢١١ ، وينظر : الكشف ١ / ٣٤٠ .
(٦) سورة آل عمران ، آية ٣٦ .
(٧) الآية نفسها .
(٨) الآية نفسها .
(٩) الآية نفسها .
(١٠) الكشف ١ / ٣٤٠ .
(١١) سورة الحجر آية : ٨ ، وقد سبق بيان ما فيها من قراءات .

: إنه أسند الفعل إلى الله عز وجل بنون العظمة ، كما قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ (١) ، ولأن فيه مناسبة لقوله قبله ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا ﴾ (٢) (٢) ، وقوله بعده ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ (٣) ، وما على أثره من ألفاظ التعظيم(٤) .

هذا وقد تتحقق موافقة السياق السابق واللاحق بمجموع الصور القرائية في بعض الحروف ، بمعنى أن الصور القرائية قد تختلف في حرف من حروف القرآن ، وتكون إحدى هذه الصور موافقة للسياق السابق ، والأخرى موافقة للسياق اللاحق ، ومن أمثلة ذلك اختلاف القراءات بين الياء والنون في (يشأ ، يخسف ، يسقط) من قوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا ﴾ (٥) (٥) ، وفي توجيه ذلك يذكر ـ رحمه الله ـ أن قراءة الياء في الثلاثة على إسناد الأفعال إلى ضمير اسم الله عز وجل لتقدم ذكره في قوله : ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (٦) وقراءة النون على الإخبار من الله عز وجل عن نفسه بنون العظمة ، وفيه مناسبة مناسبة لقوله بعده : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا(٧) ﴾ (٨) .

ومما سبق يتبين لنا أن سياق القراءة معلم آخر من معالم توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ فقد احتج به للعديد من وجوه القراءات كما رأيت .

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١١١ .
(٢) سورة الحجر ، آية ٤ .
(٣) سورة الحجر ، آية ٩ .
(٤) اللآلئ الفريدة ٣/٧٩، وينظر أيضاً ٢/٤٠ ، ٤١ ، و٣ / ٢٥٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٩ ، وغير ذلك.
(٥) سورة سبأ ، آية : ٩ .
وقراءة الياء في الثلاثة لحمزة والكسائي وخلف العاشر، والنون للباقين. النشر٢/٢٦٢، والإتحاف٤٥٨.
(٦) سورة سبأ ، آية : ٨ .
(٧) سورة سبأ ، آية ١٠ .
(٨) اللآلئ الفريدة ٣ / ٢٩٦ .

المبحث التاسع

معالم أخرى

بالنظر في قضية توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي نجد أنه ـ رحمه الله تعالى ـ لم يكتف فيها باتباع الأثر والاعتماد على النقل ، أو بإثبات موافقة القراءة رسم المصحف ولغات العرب وأقوالهم ، أو بالاستشهاد لها بالشواهد المتنوعة من قرآن وقراءات أخرى وحديث وشعر وغير ذلك ، بل اعتمد على بعض المعالم الأخرى في توجيه القراءات والاحتجاج لها ككثرة الاستعمال والحمل على النظير والحمل على المعنى والتنبيه على الأصل وكثرة الدور .

فقد كان لكثرة الاستعمال نصيب في توجيه القراءات والاحتجاج لها عند إمامنا الفاسي ـ رحمه الله ـ ومن ذلك قوله في توجيه قراءة إدغام لام هل في التاء من قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تَرَىٰ ﴾ (١) : " وحجة أبي عمرو في تخصيصه (هل ترى) بالإدغام كثرة استعمالهم للإدغام فيه ، لكثرة دوره في الكلام "(٢) ، وقوله في توجيه توجيه قراءة ضم الضاد وتثقيل الراء في (يضركم) من قوله تعالى : ﴿ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۚ ﴾ (٣): " والحجة لمن قرأ (يضركم) بضم الضاد وتثقيل وتثقيل الراء : كثرة استعمال ضر في القرآن والكلام "(٤) .

ثم هو قد يكتفي بكثرة الاستعمال في توجيه بعض القراءات ـ كما رأيت ـ وقد يضيف إليه ملحماً آخر ، كقوله في توجيه قراءة تخفيف الياء مع المد في (قاسية) من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ ﴾ (٥) : " والوجه في قراءة من قرأ (

---

(١) في موضعين (﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك ، ٢] ، ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ [الحاقة ، ٨]
وقد قرأ أبو عمرو بالإدغام فيهما ، وأظهرهما الباقون . النشر ٢ / ٨ ، والإتحاف : ٤٢ .
(٢) اللآلئ الفريدة ١ / ٣٥٣ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ١٢٠ .
وقد قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر بضم الضاد ورفع الراء مشددة ، وقرأ الباقون بكسر الضاد وجزم الراء مخففة . النشر ٢ / ١٨٢ ، والإتحاف ٢٢٨ .
(٤) اللآلئ الفريدة ٢ / ٢٤٣ .
(٥) سورة المائدة ، آية ١٣ .
وقد قرأها حمزة والكسائي بحذف الألف وتشديد الياء ، وقرأ الباقون بالألف وتخفيف الياء . النشر ١٩١/٢ ، والإتحاف ٢٥١

قاسية) : حمله على الأكثر في الكلام(١) ، وعلى ما اتفق عليه من قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم(٢) ﴾ (٣) " .

وكان أيضاً للحمل على النظير نصيب في توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ ، ومن ذلك قوله في توجيه قراءة الخطاب في (ترى) من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (٤) : والحجة لمن قرأ (ولو ترى) بالخطاب: حمله على الخطاب في نظائره ، نحو ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا ﴾(٥)، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا ﴾ (٦)، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ﴾ (٧) ، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ(٨) ﴾(٩) ، وقوله في توجيه قراءتي ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿الْأُمُورُ﴾ (١٠) ، والحجة لمن قرأ (تُرجْع) بضم التاء وفتح الجيم: حمله على نظائره، نحو ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١١)، و﴿ إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٢) ، و﴿ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ (١) ، وما أشبه ذلك(٢) ، والحجة لمن قرأ بفتح

---

(١) بيان ذلك : أن " فعل " إنما يأتي اسم الفاعل منه على " فاعل " في أكثر كلام العرب ، وفاعل أكثر في الكلام من فعيل . ينظر : الكشف ١ / ٤٠٨ .
(٢) سورة الزمر ، آية ٢٢ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٢٧ ، وينظر أيضاً ٢ / ٨٥ ، ٣٩٩ ، ٤٥٧ ، ٤٩٣ .
(٤) سورة البقرة ، آية ١٦٥ .
وقد قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابن وردان بخلفه بالخطاب ، وقرأ الباقون بالغيب . النشر ١٦٨/٢ والإتحاف : ١٩٦ .
(٥) سورة الأنعام ، آية ٢٧ .
(٦) سورة سبأ ، آية ٥١ .
(٧) سورة الأنفال ، آية ٥٠
(٨) سورة الأنعام ، آية ٩٣ .
(٩) اللآلئ الفريدة ٢ / ١٠١ ، وينظر: الكشف ١ / ٢٧١ .
(١٠) سورة البقرة ، آية ٢١٠ .
وقد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بفتح التاء وكسر الجيم مبنياً للفاعل ، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم مبنياً للمفعول . النشر ١٥٧/٢ ، والإتحاف١٧٣ ، والميسر ٣٢.
(١١) سورة البقرة ، آية ٢٨ .
(١٢) سورة آل عمران ، آية ١٥٨ .

بفتح التاء وكسر الجيم : حمله ـ أيضاً ـ على نظائره ، نحو ﴿ إِلَىٰ ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ (٣) ، و﴿ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ (٤) ، وما أشبه ذلك(٥) .

والإمام الفاسي هنا أيضاً قد يكتفي في توجيه القراءة بالحمل على النظير ، وقد يضيف إليه ملمحاً آخر ، كما فعل في توجيه قراءة زيادة (من) وجر (تحتها) في قوله تعالى : ﴿ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ (٦) حيث قال : والوجه في قراءة من قرأ : (من تحتها) : حمله على نظائره في الكتاب العزيز ، وأنه في مصاحف مكة كذلك(٧) .

وللحمل على المعنى نصيب آخر في توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ ومن ذلك قوله في توجيه قراءتي ﴿ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا ﴾ (٨) ،

و﴿ ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ (٩) : والوجه في قراءتي التذكير والتأنيث في (توفاه ، واستهواه) الحمل على معنى الجمع أو الجماعة(١٠)، أي على تذكير الجمع كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ ﴾ (١١)، أو على تأنيث الجماعة ، كقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ

---

(١) سورة العنكبوت ، آية ٢١ .
(٢) وقد بنى الفعل في هذه الآيات للمفعول ، فألحق هذا به لأنه مثله . الكشف ١ / ٢٨٩ .
(٣) سورة المائدة ، آية ٤٨ .
(٤) سورة الشورى ، آية ٥٣ .
(٥) اللآلئ الفريدة ٢ / ١٣١ ، ١٣٢ ، قال مكي : فبنى الفعل للفاعل ، فحمل هذا على ذاك . الكشف ١ / ٢٨٩.
(٦) سورة التوبة ، آية ١٠٠ .
وقد قرأ ابن كثير بزيادة كلمة " من " وخفض تاء " تحتها " ، وقرأ الباقون بحذف " من " وفتح التاء . النشر ٢ / ٢١١ ، والإتحاف ٣٠٦ .
(٧) اللآلئ الفريدة ٢ / ٥٠٠ ، وينظر : المقنع ١٠٨ ، وجملة أرباب المراصد ٣١٦ .
وللمزيد من أمثلة الحمل على النظير ينظر : اللآلئ الفريدة ١ / ٣٧٦ ، و٢ / ٢١٨ ، ٣٢٧ ، ٣٦٧ ، ٣٨٠ ، ٤١١ ، وغير ذلك .
(٨) سورة الأنعام ، آية ٦١ .
(٩) سورة الأنعام ، آية ٧١ .
وقد قرأ حمزة بألف ممالة بعد الفاء والواو ، وقرأ الباقون بتاء ساكنة بعدهما . النشر ٢ / ١٩٤ ، والإتحاف ٢٦٥ .
(١٠) اللآلئ الفريدة ٢ / ٣٧٨ .
(١١) سورة يوسف ، آية ٣٠ .

﴿ ٱلْأَعْرَابُ ﴾ (١) ، ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ(٣) ٱلرُّسُلُ(٣) ﴾ (٤) .

وقوله في توجيه قراءتي ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ ﴾ (٥) : والوجه في قراءة من قرأ (عرف بعضه) بتخفيف الراء : أنه حمله على معنى المجازاة(٦) ، كقولك لمن أساء : لأعرفنَّ لك ما صنعت، أي: لأجازينّك عليه، ومنه﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾(٧)، أي : يجازي عليه ، و﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ (٨) (٨) ، أي : يجازيهم عليه ، والمعنى : جازى على بعضه وعفا عن بعضه تكرّماً منه(٩) ، وجاء في التفسير أن النبي ﷺأسرَّ إلى بعض أزواجه حديثاً فأفْشَتْهُ ولم تكتمه تكتمه ، فأطلع الله نبيه على ذلك فجازاها على بعض ما فعلت وأعرض(١٠) فلم يجازها عليه ، وكان مجازاته لها طلاقه ، وروى أنها حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنه وعنها ـ(١١) ، والوجه في قراءة من قرأ بالتثقيل : أنه حمله على معنى أنه عرّفها بعضه وأعرض عن بعضه فلم يعرفها تكرماً(١٢) .

---

(١) سورة الحجرات ، آية ١٤ .
(٢) سورة إبراهيم ، آية ١١ .
(٣) سورة فصلت ، آية ١٤ .
(٤) الكشف ١ / ٤٣٥ .
(٥) سورة التحريم ، آية ٣ .
وقد قرأ الكسائي بتخفيف الراء ، وقرأ الباقون بتشديدها . النشر ٢ / ٢٩٠ ، والإتحاف ٥٤٨ .
(٦) الكشف ٢ / ٣٢٥ .
(٧) سورة البقرة ، آية ١٩٧ .
(٨) سورة النساء ، آية ٦٣ .
(٩) الكشف ٢ / ٣٢٥ .
(١٠) أي : عن بعض ما فعلت .
(١١) الكشف ٢ / ٣٢٥ ، وفيه " فجازاها على بعض فعلها بالطلاق الرجعي " ، وينظر : الكشاف للزمخشري ٤ / ٥٥٢ ، ٥٥٣ .
(١٢) اللآلئ الفريدة ٣ / ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، وينظر : الكشف ٢ / ٣٢٦ .
وللمزيد من أمثلة الحمل على المعنى ينظر : اللآلئ الفريدة ٢ / ١٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٤١ و٣ / ٥٩ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ١٧٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٩٠ ، ٤٧٦ وغير ذلك .

كذلك كان للتنبيه على الأصل نصيب في توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ ومن ذلك : قوله في توجيه قراءة إظهار ذال " إذ " عند حروفها الستة ، وهي التاء والزاي والصاد والدال والسين والجيم(١) : حجة من من أظهر عند الجميع : الإتيان بها على الأصل(٢) ، وقوله في توجيه قراءة تنوين (كاشفات) ونصب (ضره) وتنوين (ممسكات) ، ونصب (رحمته) من قوله تعالى : ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ.. هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ (٣) ، والوجه في قراءة أبي عمرو : أنه نون ونصب على الأصل(٤) .

وهو في أكثر المواطن يوجه القراءة بإتيانها على الأصل من دون نسبة هذا الأصل لمن نطق به من القبائل العربية ـ كما رأيت ـ وقد ينسبه كما فعل في توجيه قراءة ضم شين (خشب) من قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ (٥) ، حيث قال : والوجه في قراءة من قرأ بالضم : الإتيان بالأصل ، وهو لغة أهل الحجاز(٦)

إضافة لما سبق فقد كان لكثرة الدور أيضاً نصيب في توجيه القراءات والاحتجاج لها عند الإمام الفاسي ، لكن الناظر في هذا الجانب من جوانب التوجيه عند الإمام الفاسي يجد أنه ـ رحمه الله تعالى ـ لا يكتفي به ـ غالباً ـ في سياق توجيه القراءة ، وإنما يورده مضافاً إلى غيره من الأوجه التي يسوقها في التوجيه ، خاصة وجه الرواية واتباع الأثر ، ومن ذلك قوله في إدغام القاف في الكاف من كلمة إذا تحرك ما قبل القاف وكان بعد الكاف ميم جمع(٧) : وسبب تخصيص إدغام القاف في الكاف في هذا القسم اتباع الأثر ، ولو قيل : كثرة الدور بالنسبة إلى الغير لكان

---

(١) أظهرها عند الستة نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر ويعقوب، وأدغمها فيها أبو عمرو وهشام، وللباقين تفصيل انظره انظره في : النشر ٢ / ٣ ، ٤ ، والإتحاف ٤٠ .

(٢) اللآلئ الفريدة ١ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، وينظر: الكشف ١ / ١٤٧ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٣٨ .

وقد قرأ البصريان بتنوين " كاشفات وممسكات " ونصب " ضره ورحمته " ، وقرأ الباقون بغير تنوين فيهما وخفض " ضره ورحمته " النشر ٢ / ٢٧١ ، والإتحاف ٤٨١.

(٤) اللآلئ الفريدة ٣ / ٣٤٠ ، وينظر: الكشف ٢ / ٢٣٩ ، وفيه : " التنوين هو الأصل ، وإذا نونت نصبت ما بعده به ، ، لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الاستقبال والحال يعمل عمل الفعل ، وقرأ الباقون بترك التنوين والإضافة للتخفيف " .

(٥) سورة المنافقين ، آية ٤ .

وقد قرأ بإسكانها أبو عمرو والكسائي وقنبل بخلفه، وضمها الباقون. النشر٢/١٦٣ ، والإتحاف ١٨٦.

(٦) اللآلئ الفريدة ٣ / ٤٢٤ ، وينظر: الكشف ٢ / ٣٢٢ ، وللمزيد من أمثلة توجيه القراءات بإتيانها على الأصل ينظر : : اللآلئ الفريدة ١ / ٢٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢ ، و٣ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٧٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، وغير ذلك .

(٧) وهو لأبي عمرو ويعقوب بخلف عنهما، والإظهار للباقين. النشر ٢٢٤/١ ، والإتحاف٣٣، ٣٦ .

وجهاً(١) ، وقوله في وجه تخصيص إمالة (جاء) ، و(شاء) ، و(زاد) لابن ذكوان(٢) : وحجة ابن ذكوان في تخصيصه (جاء) و(شاء) ، و(زاد) بالإمالة : اتباع الأثر والجمع بين اللغتين ، ويتجه فيهن مع ذلك علتان: إحداهما : أنهن أكثر دوراً من أخواتهن ، وما كثر دوره فكثيراً ما يخص بالتخفيف ، والثانية : خلوهن من الحروف الموانع من الإمالة(٣)

بخلاف أخواتهن(٤) .

ومما سبق ـ وغيره ـ يتبين لنا أن الإمام الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ قد استخدم معالم عديدة ومتنوعة في قضية توجيه القراءات والاحتجاج لها في شرحه على الشاطبية، إضافة لما قرره وأكد عليه من أن القراءة سنة متبعة وأن الأصل فيها صحة النقل والاعتماد على الرواية .

---

(١) اللآلئ الفريدة ١ / ١٨٥ .

(٢) ينظر: النشر ٢ / ٤٥ ، والإتحاف ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) وهي الحروف السبعة المستعلية : الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء ، فهذه الحروف تمنع الإمالة إذا وقعت قبل الألف مباشرة ، أو وقعت بعد الألف مباشرة أو بعده بحرف أو حرفين نحو صابر وناصر وهابط ومنافيخ ، وعلة امتناع الإمالة مع هذه الحروف ، أن هذه الحروف صاعدة إلى الحنك الأعلى كما صعدت الألف فغلبت على الألف فمنعتْها عن أن تصير إلى جهة الياء= = فلا يتناسب الصوت فيها ، فلحرصهم على تناسب الصوت امتنعوا عن إمالة الألف مع هذه الحروف ، كما أمالوها مع الكسرات والياءات إرادة لتناسب الصوت .
ينظر تفصيل ذلك في الموضح لابن أبي مريم ١ / ٢١١ – ٢١٣ .

(٤) اللآلئ الفريدة ١ / ٤١٩ بتصرف يسير ، وينظر : الكشف ١ / ١٧٤ – ١٧٥ .

الخاتمة

ونسأل الله حسنها

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ، وبعد ، ، ،

فهذه أهم النتائج التي انتهيت إليها من هذا البحث :

كشف البحث عن جوانب متعددة من الثقافة العلمية للإمام الفاسي ـ رحمه الله ـ ومدى فكره الثاقب، وتبحره في كثير من العلوم لاسيما علم القراءات وما يتعلق به .

أن كتاب اللآلئ الفريدة يعد موسوعة علمية في شرح القصيدة الشاطبية ، كما يعد من أكثر شروح هذه القصيدة المباركة اهتماماً بتوجيه القراءات وبيان معانيها .

أن القراءة سنة متبعة لا يتوصل إليها إلا بالنقل الصحيح ولا تثبت إلا به ، وأن الأصل فيها اتباع الأثر والاعتماد على الرواية .

تعدد معالم توجيه القراءات وتنوعها عند الإمام الفاسي بين اتباع الأثر وكثرة الاستعمال، وإثبات موافقة القراءة رسم المصحف ولغات العرب ، والاحتجاج لها بغيرها من القراءات والحديث النبوي والشعر وغير ذلك .

أن تنوع القراءات يؤدي إلى تنوع المعاني ويقوم مقام تعدد الآيات ، وفي هذا دليل على بلاغة القرآن الكريم .

أن الغرض من الاستشهاد للقراءات القرآنية إنما هو إثبات وتأكيد موافقتها لكلام العرب وعدم خروجها عنه ، إضافة إلى تواترها وموافقتها رسم المصحف ، وليس الغرض تقويتها ، فهي قوية بقرآنيتها .

وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم .

أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د / فريد الأنصاري ، منشورات الفرقان ، الدار البيضاء، ط. الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الشهير بالبنا الدمياطى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط. الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية ، دار الراية للنشر والتوزيع ، ط. الأولى ، النشر ١٤١٨هـ.

إشراقات في توجيه القراءات ، د / عبد الكريم إبراهيم صالح ، مركز إبداع للطباعة وأعمال الكمبيوتر ، دمنهور .

إعراب القرآن لأبى جعفر ، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ط. الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .

الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان ، ط. التاسعة ١٩٩٠م .

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز فى القراءات الأربع عشرة ، لشمس الدين محمد ابن خليل القباقبى ، دراسة وتحقيق د / أحمد خالد شكرى ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ـ الأردن ، ط. الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء من زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد ، لنبيل سعد الدين سليم جرار ، الناشر: أضواء السلف ، ط. الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ / عادل عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط. الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .

التيسير فى القراءات السبع ، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

جامع البيان فى القراءات السبع ، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، ط. الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط. الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

جمال القراء وكمال الإقراء لأبى الحسن على بن محمد السخاوى ، دراسة وتحقيق / عبد الحق عبد الدايم سيف القاضى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ط. الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .

جميلة أرباب المراصد فى شرح عقيلة أتراب القصائد ، لبرهان الدين إبراهيم ابن عمر الجعبرى ، دراسة وتحقيق / محمد خضير الزوبعى ، دار الغوتانى للدراسات القرآنية ، دمشق ، سورية ، ط. الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م .

الحجة فى القراءات السبع لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق / أحمد فريد المزيدى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

الحجة للقراء السبعة لأبى على الحسين بن أحمد الفارسى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م .

حجة القراءات لأبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق / سعيد الأفغانى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط. الخامسة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للقاسم بن فيره بن خلف الشاطبي ، دار الصحابة للتراث بطنطا.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩هـ بدون تحقيق .

رسم المصحف ، دراسة لغوية تاريخية ، للدكتور / غانم قدوري الحمد ، دار عمان للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط. الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

السبعة فى القراءات ، لأبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ، تحقيق د / شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط. الثالثة .

سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي ، لعلي بن عثمان بن محمد ، المعروف بابن القاصح العذري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط. الثالثة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

سنن ابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

غاية الاختصار فى قراءات العشرة أئمة الأمصار ، لأبى العلاء الهمذانى العطار ، تحقيق د / أشرف فؤاد طلعت ، ط. الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، جدة ، السعودية ، ط. الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

الغاية في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ، دراسة وتحقيق / محمد غياث الجنباز ، دار الشواف للنشر والتوزيع ، السعودية ، ط. الأولى ١٩٨٥م .

غاية النهاية فى طبقات القراء ، لابن الجزرى ، عنى بنشره ج. برجستراسر ، الناشر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، وتصحيح محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت١٣٧٩هـ .

القراءات ، أحكامها ومصدرها ، للدكتور / شعبان محمد إسماعيل ، دار السلام القاهرة ، ط. الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

القراءات توقيفية لا اجتهادية ، للدكتور / سامي عبد الفتاح هلال ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

القراءات الشاذة ، دراسة لنشأتها ومعاييرها ، للدكتور / سامى عبد الفتاح هلال ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

القراءات القرآنية لعبد الحليم بن محمد الهادي قابة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط. الأولى ١٩٩٩م .

الكافي في القراءات السبع ، لأبي عبد الله محمد بن شريح الإشبيلي ، تحقيق/ أحمد محمود عبد السميع الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق د / محي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط. الخامسة ١٤١٨هـ - ٢٠٠٢م .

اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة ، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسي، تحقيق الشيخ/ عبد الرازق إبراهيم موسى ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط. الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

لسان العرب ، لجمال الدين محمد بن منظور ، دار المعارف .

لطائف الإشارات لفنون القراءات ، لشهاب الدين القسطلانى ، تحقيق الشيخ / عامر عثمان، ود/ عبد الصبور شاهين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط. الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، تحقيق ج. برجستراسر ، طبعة ، مكتبة المتنبي .

مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، أشرف على تحقيقه الشيخ / شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط. الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .

معالم التوجيه والاحتجاج للقراءات المتواترة ، د / محمد مصطفى علوة ١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م .

معاني القرآن ، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، تحقيق د / عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط. الأولى ١٤٥٥ هـ - ١٩٨٥م.

معانى القرآن ليحي بن زياد الفراء ، تحقيق د / عبد الفتاح شلبى ، دار السرور .

معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، تحقيق / فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ظ. السادسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

معجم مفردات ألفاظ القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق / عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط. الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م .

المعجم الوسيط ، لمجمع اللغة العربية ، طبعة مجمع اللغة العربية .

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لأبى عبد الله الذهبى ، تحقيق د/طيار آلتى قولاج ، منشورات مركز البحوث الإسلامية ـ استانبول تركيا ، ط. الأولى .

المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ، للدكتور/ محمد سالم محيسن ، دار الجيل ، بيروت ، ط. الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م .

المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ، لأبى عمرو الدانى ، تحقيق محمد الصادق قمحاوى ، الناشر . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة .

مناهل العرفان فى علوم القرآن ، للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى ، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابى الحلبى) القاهرة .

منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لابن الجزرى ، تحقيق د / عبد الحى الفرماوى ، الناشر مكتبة جمهورية مصر العربية ، القاهرة ، ط. الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

الموضح فى وجوه القراءات وعللها ، لابن أبى مريم ، دراسة وتحقيق د/ عمر حمدان الكبيسى ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ، ط. الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

الميسر في القراءات الأربع عشرة ، لمحمد فهد خاروف ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط. الرابعة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م .

النشر فى القراءات العشر ، لابن الجزرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الثالثة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

الوسيلة إلى كشف العقيلة ، لأبى الحسن على بن محمد السخاوى ، دراسة وتحقيق د / نصر سعيد ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، ط. الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢١٣
التمهيد	٢١٦
التعريف بالإمام الفاسي	٢١٦
التعريف باللآلئ الفريدة	٢١٧
التعريف بتوجيه القراءات	٢١٩
أنواع التوجيه عند الإمام الفاسي	٢٢١
المبحث الأول : توجيه القراءات باتباع الأثر	٢٢٨
المبحث الثاني : توجيه القراءات بالقرآن الكريم	٢٣٧
المبحث الثالث : توجيه القراءات بالقراءات الأخرى	٢٤١
المبحث الرابع : توجيه القراءات بالحديث الشريف .	٢٤٦
المبحث الخامس : توجيه القراءات بالشعر	٢٥٠
المبحث السادس : توجيه القراءات برسم المصحف	٢٥٥
المبحث السابع : توجيه القراءات بلغات العرب وأقوالهم	٢٦٠
المبحث الثامن : توجيه القراءات بالسياق	٢٦٥
المبحث التاسع : معالم أخرى	٢٦٩
الخاتمة	٢٧٥
فهرس المصادر والمراجع	٢٧٦
فهرس الموضوعات	٢٨٢